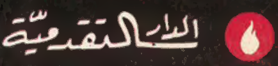
تحقيق في مجزرة

كتاب أمنيون كابليوك ٠ وَثائق ٠ صُوَر

من إنتخَاب بَشير الجمَيّل
إلى اغتيَاله إلى

مجازر صبرا وشاتيلا



تحقيق في مجزرة

كتاب أمنيون كابليوك ◦ وَثائق ◦ صُوَر

من إنتخاب بَشير الجمَيّل
إلى آغتيَاله إلى

مجازر صبرا وشاتيلا

الدار التقدمية

مَجَازر
صَبرا وشاتيلا

جرَت ترجمَته من اللغة الفرنسية

الطبعة الأولى في العَربيّة

أيلول ١٩٨٤

بيروت - ص.ب : ٦١٧٦ / ١٤

الإهداء



هذا الكتاب وهذه الوثائق والصور نهديها اولا الى الضحايا انفسهم مؤكدين اننا اردنا كشف قضيتهم والجريمة التي استهدفتهم ..

ونهديها ثانيا الى العزل الابرياء من النساء والاطفال والشيوخ . ندعوهم لوعي طبيعة المجرم ووحشيته .

وثالثا الى المجرمين منفذي المجازر علهم يستوعبون انهم فشلوا في ما هدفوا اليه .

سقطت الجريمة والمجرمون .

وترسخت الارض التي سالت في عمقها دماء الابرياء .

□ الدار التقدمية □

المقدمة

أيّة أهداف أيّة نتائج ؟

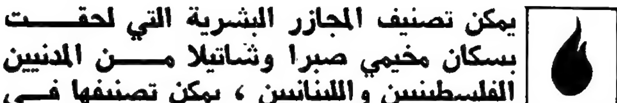
مَن المسؤول

المحتلّ أم أدواته ؟

كشف الحقائق

يفيد لبنان و اللبنانيين

بقلم: سامي زبيان



يمكن تصنيف المجازر البشرية التي لحقت بسكان مخيمي صبرا وشاتيلا من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين ، يمكن تصنيفها في خانة العمل السياسي أكثر منها في خانة العمل العسكري ، من حيث اهدافها ومراميها .

ان منفذي تلك المجازر من جنود اسرائيليين ومن زمر مسلحة من حزب الكتائب اللبنانية ((القوات اللبنانية)) برئاسة بشير الجميل ، ان هؤلاء المنفذين كان هدفهم قتل أكبر عدد ممكن من سكان المخيمين ، وبأبشع شكل ممكن من أشكال التصفية الجسدية ، من أجل تحقيق هدف رئيسي هو دفع أهالي هذين المخيمين ، الواقعين عند أطراف بيروت الجنوبية ، الى ترك المخيمين والهجرة منهما وربما من بيروت نهائيا الى اية جهة كانت .

ورغم ان منفذي المجازر اعلنوا انهم قاموا بعملياتهم العسكرية تلك ضد مسلحين فلسطينيين كانوا ما زالوا في المخيمين ويستعدون للقيام بأعمال عسكرية ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي التي كانت ما زالت قرب المخيمين لجهة الغرب ، لكن ثبت من معاينة الضحايا انه لم يوجد مسلحون بينهم . واذا وجد من شهر سلاحا في وجه مهاجمي المخيمين فهو سلاح فردي ، ولمجرد الدفاع عن النفس . والا لو كان في المخيمين وجود مسلح فلسطيني او لبناني لتسبب ذلك في سقوط العشرات من القتلى في صفوف المهاجمين الذين تغلغلوا في طرقات المخيمين الضيقة جدا . ولو وجد مسلحون بين الضحايا لاستغله حزب الكتائب واسرائيل لتبرير المجازر ، ولما احتاجت تلك المجازر الى حملات التبرير تلك والدفاع عن النفس التي قام بها حزب الكتائب نافيا مسؤوليته عما حدث ، والتي قامت بها اسرائيل نافية مسؤوليتها ايضا متهمة حزب الكتائب بما حدث . ولو وجد مسلحون بين الضحايا لما كان من مبرر للضجة التي انطلقت حول المجازر ، ولما سميت مجازر ، ولما وضع

هذا الصحافي اليهودي امنيون كابليوك كتابه هذا ـ الذي نحن بصدده ـ بكل وقائعه ومعلوماته التي نقب عنها كثيرا .

اضافة الى ذلك ، لو وجدت أسلحة مع الضحايا او في المنازل التي اقتحمها الذين اجتاحوا المخيم وقصفوه تمهيدا لاجتياحهم ، وحركوا حوله وفي بعض طرقاته الياتهم ، لو وجد ذلك لما اضطرت حكومة اسرائيل ـ حكومة تجمع ليكود برئاسة مناحيم بيغن ـ الى تشكيل ((لجنة كاهان)) الاسرائيلية للتحقيق ولتحديد المسؤولية في أقرار تلك العملية ـ المجزرة وفي تخطيطها وتنفيذها .

من هنا جاءت محاولات نفي المسؤولية عما حدث من مجازر بشعة ضد الاطفال الذين قتلوا في احضان امهاتهم ، وقتل امهاتهم ، وضد الشيوخ الذين أطلقت النار عليهم من الخلف بعد ان امنهم منفذو المجزرة على حياتهم فساروا في طرقات المخيم ليراجعوا في أمر تلك المجزره ، وضد شباب جرى اعدامهم وهم واقفون ووجوههم الى جدار .. ومحاولات نفي المسؤولية قام بها حزب الكتائب وزمره المسلحة ، كما قامت بها حكومة اسرائيل ، وبالذات وزير الدفاع الاسرائيلي السابق اربيل شارون الذي صبت عنده كافة عمليات الاجتياح والاحتلال الاسرائيليين للبنان ، وما نتج عنهما من مجازر أبرزها مجزرة صبرا وشاتيلا .

أما محاولات نفي المسؤولية من جانب الكتائب واسرائيل ـ وهما الحليفان ـ والالقاء بها من جانب طرف على طرف اخر ، يشكل بحد ذاته شاهدا وبرهانا على البشاعة والخسة والوحشية التي نفذت بها تلك المجازر . فرغم ان حزب الكتائب شن حربه تحت شعار القتال ضد الغرباء ، والفلسطينيون من هؤلاء الغرباء ـ أكانوا عسكريين ام مدنيين ـ رغم ذلك ، لم يجرؤ ذاك الحزب على اعلان مسؤوليته عما حدث لبشاعة ما حدث ولتنافي ذلك حتى مع أبسط قواعد

الحروب والغزو والاحتلال .

كذلك الحال بالنسبة لاسرائيل التي شنت حملة الاجتياح والاحتلال ((لتنظيف)) لبنان من الفلسطينيين ، لم تستطع ان تغطي حتى بعض الضباط الذين اصدروا الامر الى الكتائب وساعدوهم في تنفيذ تلك المجزرة البشعة .

سبب هذا التهرب ـ الكتائبي والاسرائيلي ـ عائد الى بشاعة ما حدث من مجازر ، ونهوض العالم كله مستنكرا تلك البشاعة وفظاعتها .

لكن رغم ذلك كله ، فقد حدث ما حدث، ووقعت مجزرة . ولا فرق أكان الذين نفذوها هم الكتائب كحزب أو كقوات بمفردهم ام باشراف ومساعده أسرائيلية . فالذين شهروا عداءهم للفلسطينيين هم ((الكتائب اللبنانية)) ، وهم الاسرائيليون . والذين كانوا يحيطون بالمخيمين كالسوار هم الجنود الاسرائيليون ، كما ان الذين كانوا يستطيعون الحركة بحرية وبسلاحهم ـ في تلك الفترة ، فترة الاحتلال الاسرائيلي لقسم من لبنان ولبيروت وضواحيها ـ هم الكتائب . لذا لا تضيع المسؤولية بين الكتائب واسرائيل ، ولا تخضع لنقاش . فهي ثابتة عليهما .. الان اكانت ثابتة عليهما معا بشكل كامل أم بشكل متفاوت ، فهذا أمر لا يهم . ان الثابت هو ان اجتياح اسرائيل للبنان ولبيروت خاصة اعطى دورا لحزب الكتائب ولمسلحيه ، هذا الدور عبرت عنه صور القائد العسكري لحزب الكتائب ولقواته المسلحة بشير الجميل مع جنرالات اسرائيليين يعرضون على الخرائط وأحيانا في المواقع كيفية اجتياح لبنان وبيروت واحتلالهما . اضافة الى وثائق كثيرة نشرت عن تنسيق مسبق ـ لا حياء فيه ولا خجل من جانب الكتائب كما أعلنوا مرارا ـ بين حزب الكتائب واحيانا بين كميل شمعون وحزبه وبين قيادات في الجيش الاسرائيلي وخاصة قيادة المخابرات ، تنسيق في كل ما يتعلق بلبنان . ولا يهمنا هنا مبرر هذا التنسيق

والتعاون والتعامل والتحالف ، بقدر ما يهمنا القول ان اي شكل من أشكال هذا التنسيق هو الذي أدى بالضرورة الى مسؤولية مشتركة وواحدة عن مجازر صبرا وشاتيلا التي استهدفت المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين ، مسؤولية مشتركة كتائبية ـ اسرائيلية يأتي هذا الكتاب ليؤكدها بالارقام والوقائع والوثائق .

من هنا أهمية هذا الكتاب . أهميته في انه يبقى الوثيقة القادرة على تأريخ هذه المرحلة السوداء في تاريخ حزب لبناني ، لم يجد مانعا من تخريب وطنه لبنان حتى ولو كان سبب ذلك تحالفه مع اسرائيل ، التي لم تستطع الا أن تثبت عداءها للبنان وللبنانيين في كل ما قامت عليه وبه .

أما ما يمكن أن تكون عليه أهداف هذه المجازر ، فهو ايضا امر يؤكد مسؤولية الكتائب واسرائيل في تنفيذ تلك المجازر .

فأية أهداف سياسية وعسكرية هي لتلك المجازر ؟

● اسرائيليا :

ـ هم اسرائيل في كل ما قامت وتقوم به من حروب ضد الفلسطينيين هو الغاء الفلسطينيين لو تستطيع . الغاؤهم كوجود وكشعب ، وكأرض . ولقد استطاعت ذلك بنسب متفاوتة لفترة من الزمن بعد احتلالها لفلسطين لم يصل مداها الى عشر سنوات .

ـ لكن مع مطلع الستينات ، وبالذات مع منتصف الستينات ، عاد شعب فلسطين ، عاد الفلسطينيون العرب يؤكدون وجودهم كشعب وكأرض (خاصة قبل احتلال اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة) . أكدوا وجودهم عبر المقاومة الفلسطينية المسلحة بكل فصائلها ، ثم عبر منظمة التحرير الفلسطينية كاطار سياسي وكمؤسسة سياسية للفلسطينيين كشعب وكدولة .

ـ هذا الهدف الرئيسي لاسرائيل ، بعد الرد الفلسطيني عليه كما ذكرنا ، راح يأخذ أشكالا مختلفة ومستويات متفاوتة . وأصبحت هناك أهداف مرحلية وتكتيكية تندرج تحته . كان من بينها وأبرزها بقاء اسرائيل هادئة داخليا ، مع قيام حزام يقيها تجمع الفلسطينيين ويلغي اقترابهم من حدودها . من هنا شكل احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان هذا الجزء الكبير من الحزام الواقي . ولا شيء يمنع أن يكون احتلالها الجنوب والبقاع الغربي وراشيا مكملا لذاك « الحزام الواقي » .

ـ ان ما قامت وتقوم به اسرائيل منذ احتلالها الجنوب اللبناني والبقاع الغربي ومنطقة راشيا يوضح ان هناك خطة للتمركز في الجنوب تستمر طويلا . هذه الخطة هدفها عمل ما يمكن عمله لجعل هذه المناطق المحتلة واقية لاسرائيل من أي تجمع فلسطيني يتحول الى بؤرة عسكرية مستقبلا . وفي هذه المناطق توجد مخيمات تشكل تجمعات جماهيرية فلسطينية ليست بغريبة عن الوعي السياسي ، الامر الذي يحولها الى تهديد دائم لاسرائيل ولحدودها ، رغم ان تلك التجمعات مدنية .

ـ ان الضرب الوحشي في صبرا وشاتيلا كان هدفه تدمير بنية هذين المخيمين . لكن ذلك فشل ، وانسحبت اسرائيل وبقي المخيمان . وانحسر ظل حزب الكتائب وقواته وبقي المخيمان . والذي يحدث في الجنوب راهنا ، ولبنان في نهاية السنة الثانية التي تمضي على الاحتلال الاسرائيلي ، هو محاولة اسرائيلية لتدمير بنية كافة التجمعات الفلسطينية في المخيمات ان في منطقة صور أو في منطقة صيدا او غيرهما . لكن نهوض الجماهير اللبنانية في الجنوب بقيادة جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية حال ويحول دون أي مس بتلك التجمعات الفلسطينية .

ـ ورغم محاولات اقامة سلطة ظل وواقع تستند الى اسرائيل وقوات الاحتلال الاسرائيلي ، لتتولى تلك السلطة المهمة نفسها ضد التجمعات الفلسطينية والجماهير اللبنانية الجنوبية ككل ، الا ان تصاعد المقاومة المسلحة والمقاومة الجماهيرية الواسعة احبطت خطة استفراد المخيمات الفلسطينية لضربها . اضافة الى ما قامت به الجماهير الفلسطينية في المخيمات من صمود ونهوض دفاعا عن وجودها وذاتها

ـ ان مجازر صبرا وشاتيلا اسرائيليا قضت على أبرياء بعشرات المئات وربما بالالاف ، لكنها ارتدت على اسرائيل وأصبحت مشكلة لها . في حين ان الخسائر كانت مكلفة لابناء المخيم ، لكنها لم تشكل ذاك الذعر الذي يتسبب في انهيار تجمعات المخيمين . بل صمد المخيمان وارتدت المجازر على منفذيها . رغم ان مجازر اسرائيلية كثيرة سبق ونفذت في فلسطين من دير ياسين وكفرقاسم وقبية وغيرها وجاءت نتائجها خطيرة ومكلفة .

● ● كتائبيا :

الاهداف الاسرائيلية كلها ، السابقة الذكر ، تشكل أهدافا كتائبية كان يفترض بمجازر صبرا وشاتيلا تحقيقها .

ـ اضافة الى هدف كتائبي مباشر هو ضرب المخيمين بمن فيهما من فلسطينيين ولبنانيين ، أملا في تفكيك تجمع المخيمين ، وصولا الى جعل تلك المجازر تتفاعل وسط أوسع تجمع بشري جماهيري في الضاحية الجنوبية لبيروت . هذه الضاحية تتاخم شرقا المخيمين ، وتتصل من جهة الغرب بمناطق يريد الكتائبيون السيطرة عليها . كذلك تشكل الضاحية خزانا بشريا جماهيريا ضخما يقارب عدده نصف المليون نسمة أكثريتهم من الفقراء المحرومين ، الامر الذي جعلهم احتياطا سياسيا لكل حركات التغيير والعنف واحتياطا للعمل الوطني في بيروت الغربية . فكان الهدف الكتائبي من مجازر

صبرا وشاتيلا أن يصل رعب المجازر الى الضاحية لدفع أهاليها الى تركها ، بحيث يسهل تفريغها . تماما كما فعل الكتائبيون في احياء الكرنتينا والنبعة وبرج حمود وتل الزعتر ــ المكلس ومناطق نهر الموت والضبية حيث كانت هناك تجمعات جماهيرية شبيهة بتجمعات الضاحية ، تمكن الكتائبيون من ضربها وتهجير معظم اهاليها .

لكن الضاحية امتصت آثار المجزرة ، وردت عليها بصمودها في وجه التخويف والرعب الذي أرادوا بثه . فسقط الرعب ، وارتدت نتائج المجزرة على الكتائبيين ، فراحوا ينفون مسؤوليتهم عنها ، خاصة بعد أن أعلن عن مقتل عائلات لبنانية من المسلمين الشيعة فيها . رغم أن حزب الكتائب دعا مرارا لنقل مخيمات الفلسطينيين من حول بيروت . لكن هذا الحزب تراجع امام هول المجزرة .

ــ وأراد حزب الكتائب ايضا ، كهدف اخر من المجزرة ، التأكيد للمخابرات الاسرائيلية التي اشرفت على تنفيذ المجزرة ، أنه كتنظيم عسكري في مستوى المهمات التي جرى تحديدها واتفق على تنفيذها معا . لكن تعاظم استنكار المجزرة دفع اسرائيل للتهرب منها، ومن مسؤوليتها ، والصاقها ببعض الضباط الاسرائيليين الامر الذي دفع حزب الكتائب لنفي مسؤوليته ومشاركته فيها .

وهكذا تكون اهداف المجزرة قد سقطت رغم حجم الخسائر التي لحقت بمئات العائلات من سكان المخيمين من فلسطينيين ولبنانيين . وسقطت تلك الاهداف مرارا مع نهوض الضاحية وبيروت الغربية في وجه الاحتلال الاسرائيلي وفي وجه التسلط الكتائبي المدعوم من بعض وحدات الجيش اللبناني مرارا ، كان ابرزها ما حدث في ٦ شباط ــ فبراير ١٩٨٤ بعد انتصار حرب الجبل ، الذي كان الاساس في نهوض الضاحية وبيروت الغربية معا في وجه السلطة

الكتائبية ومن معها من ميليشيات وجيش .

★ ★ ★

وها هي السنة الثانية تمر على مجازر صبرا وشاتيلا ، ويتأكد معها سقوط اهداف تلك المجازر . ويتأكد نهوض المناطق الوطنية كلها من الجبل الى الضاحية الى بيروت . ومعها اطمأنت جماهير الفلسطينيين في المخيمات وخارجها الى وجودها وسلامتها ، وبقائها ، يحتضنها لبنان الوطن ، بانتظار أن تعود الى أرضها بعد أن تتحرر وتقوم عليها سلطتها الفلسطينية الوطنية التي لا بديل لها .

★ ★ ★

ونعود الى تلك المجازر لنقول انها في حينها كانت ابرز حدث وقع في لبنان بعد الاحتلال الاسرائيلي للبنان . لكن ما لحق تلك المجازر من تعمية وضبابية في تحديد المسؤولية والفاعلين أكد أهميتها تلك الى حد ان تحديد الفاعلين ـ لو حدث ـ لكان له تأثير فعلي على الحكم في لبنان وعلى الوضع السياسي ككل ، وخاصة على رئيس الجمهورية الحالي الذي انتخب في وقت وقعت فيه تلك المجازر ، وهو الرئيس أمين الجميل الذي انتخب بعد شقيقه بشير الجميل الذي اغتيل قبل ايام قليلة من مجازر صبرا وشاتيلا ، وكان اغتياله المدخل لتنفيذ تلك المجازر .

ورغم أن اسرائيل طلعت بتحقيق حول المجازر ، الا انه جاء تحقيقا يلبس قفازات ويحاذر أن يظهر اسرائيل الدولة ملوثة ملطخة ، بل انها استغلت التحقيق لتأكيد ما تدعيه من ديمقراطية . وتحقيق القفازات ذاك لم يضع الامور في نصابها ، لم يكشف حقيقة ما جرى في مخيمي صبرا وشاتيلا حيث مدنيون فلسطينيون ولبنانيون على السواء سقطوا ضحايا ، ولم يكشف كيفية تنفيذ المجازر ، ولا من نفذ تلك المجازر . ومع الوقت ستنكشف تلك الحقائق لانها قضية دم بشري بريء سفك ، وسيبقى متفجرا الى أن يظهر المسؤولون

على حقيقتهم .

ورغم أن الظروف اللبنانية مكنت المجرمين الفاعلين من تغطية أنفسهم بمائة حجه وحجة ، الا ان أصواتا شجاعه اطلقت الحقيقة في اكثر من مناسبة ومن على اكثر من منبر . ولقد أكد الرئيس وليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي على ضرورة كشف الفعل والفاعلين عبر تحقيق حيادي لبناني أو دولي ، من على منبر مؤتمر الدولية الاشتراكية ، وذلك من أجل تأكيد التزام لبنان بشرعة حقوق الانسان ومن أجل وضع الامور في نصابها ، كي لا يتحمل لبنان كله هذه المسؤولية . ولقد كان خطاب وليد جنبلاط في مؤتمر الدولية الاشتراكية في البرتغال صرخة بارزة ومدوية من أجل كشف الحقائق كلها .

ان كشف حقيقة ما جرى في صبرا وشاتيلا يعني لبنان أولا ، فالمخيمان في أرض لبنانية وتحت السيادة اللبنانية ، والذين سقطوا ضحايا تلك المجازر بعضهم لبنانيون والبعض الاخر الكبير فلسطينيون وكلهم مدنيون سبق أن أمنتهم الدولة اللبنانية على أرواحهم ووجودهم ويجب أن يعني كشف الحقيقة الفلسطينيين والعرب والعالم كله .

ان ملاحقة التحقيق لكشف حقائق تلك المجازر هو لمعرفة من يعيش مع من في لبنان ، ومن هم هؤلاء الذين يستمرون في مواقع المسؤولية والعمل السياسي، ربما ، وهم واقفون فوق جماجم اطفال ونساء وشيوخ صفوهم بالمئات في عمليات اعدام جماعي هزت ضمير العالم . ثم آذا كانت تلك المجازر قد هزت ضمير العالم فعلا فجدير بلبنان ، بالمسؤولين اللبنانيين أن يهتزوا لها ايضا ، ويلاحقوها كقضية حقوقية ووطنية . والا ما معنى ان يحاسب مجرم فرد على جريمة فردية ، أكانت اغتيالا أو غير ذلك ، في حين يبقى مجرمون نفذوا جرائم جماعية يسرحون بل ويستمرون في مواقع العمل السياسي والمسؤولية .

ان ما نشر سابقا وذكر اشار باصبع الاتهام الــى حزب الكتائب . وما جاء في هذا الكتاب يقدم الادلــة والوقائع على ذلك أيضا . فما على الدولة اللبنانيـــة سوى أن تبادر هي الى التحقيق لان هذا مهمتها أولا وأخيرا ..

اننا ننقل ما نشر ، ونترك لمن يجد نفيا وردا أن يعلن ذلك . نحن لا نتبنى هذه المعلومات ، نحن ننشرها ونترك لمن له مصلحة ان يطعن في صحتها . ونتمنى ان ينجح في ذلك لان الحقيقــة تفيدنــا كلبنانييــن . ان اسرائيل مسؤولة أولا وأخيرا عن تلك المجازر فهـــي المحتل القادر ، واسرائيل اكتفـــت بتحميـــل بعض جنرالاتها تلك المسؤولية .

اما موضوعات هذا الكتاب فتوالت كما يأتي :

- انتخاب بشير الجميل لرئاسة الجمهورية .
- اجتماعاته بالمسؤولين الاسرائيليين .
- تناقض في المواقف .
- اغتيال بشير الجميل .
- قرار شارون بدخول بيروت الغربية .
- ثم مجازر صبرا وشاتيلا .

□ آب ١٩٨٤ □

ملاحظة من المؤلّف

ان التحقيق المقدم في ما يلي هو نتاج عمل بدأ غداة مذبحة صبرا وشاتيلا ، وهو مؤسس على شهادة عشرات من الاسرائيليين ، مدنيين وعسكريين ، ومن الفلسطينيين واللبنانيين والصحافيين الاجانب . وقد استخدمت بصورة واسعة الصحافة الاسرائيلية واللبنانية والدولية ، والافادات أمام لجنة التحقيق القضائية الاسرائيلية ، ومحاضر جلسات الكنيست « البرلمان الاسرائيلي » ، وخدمات الاستماع الى اذاعات الشرق الاوسط ، وبرقيات وكالات الصحافة الدولية وثائق ذات منشأ أسرائيلي وفلسطيني ولبناني . وقد تفحصت وقارنت المعلومات التي تم الحصول عليها على هذا النحو ، واستبعدت عن قصد جميع المعلومات التي لم استطع الحصول على تأكيد موثوق في صددها .

□ □ **الثلاثاء ١٤ أيلول ١٩٨٢**

- ١ -

عمليّة "الدِّماغ الحديديّ"



في الساعة ١٦ و ١٠ دقائق ، دوى انفجار هائل في بيروت الشرقية . ان عبوة من ٥٠ كيلوغراما من مادة الـ « ت.ن.ت » ، مجهزة بجهاز تفجير عن بعد ، من صنع ياباني ، وموضوعة في الطبقة الثانية ، قد فجرت مقر حزب الكتائب (المسيحية) الواقع في حي الاشرفية ، (ببيروت) . وكان بشير الجميل ، الرئيس الجديد للجمهورية اللبنانية ، الذي انتخب قبل ثلاثة اسابيع (في ٢٣ اب ١٩٨٢)، يعقد هناك اجتماعا مع كوادر الحزب لمنطقة بيروت ، وهو اجتماع اعتاد بشير الجميل ان يعقده كل يوم ثلاثاء ، والذي كان هذه المرة بمثابة وداع لرفاقه ، قبل ثمانية ايام من تنصيبه .

ان المبنى المؤلف من ثلاث طبقات ، في شارع ساسين ، وهو اصفر اللون ، يقع على قمة تلة ويشرف على ممر المتحف، الدي يفصل ، منذ بداية الحرب الاهلية ، بين قسمي العاصمة اللبنانية ، وحول ذلك المكان كانت هناك منازل اخرى اصيب ، هي ايضا ، باضرار خطيرة . وسارعت فرق الاسعاف الى مكان الحادث المفجع . وسارع تساحال (١) ، الجيش الاسرائيلي ، لارسال طوافتين مع اطباء وفرق مكلفة برفع الانقاض . وبسرعة كبيرة ، وصل الاسرائيليون بقوة الى المكان . ان عدة ناقلات جنود م ــ ١١٣ ، انتزعت جوانب من السيارات لدى اجتيازها ازقة الحي ، قد اتخذت مواقعها حول مكان المؤامرة ، ولحقت بها بعد قليل الجرافات والعديد من سيارات الجيب . وكان جنود اسرائيليون يعتمرون الخوذات ، ويلبسون سترات واقية من الرصاص ، يراقبون جميع انحاء حي الاشرفية .

وكانت الانباء الاولى بخصوص الرئيس الشاب (٣٤ عاما) متناقضة . وقد اعلنت الاذاعة الكتائبية ان بشير الجميل ليس هو فقط سليما معافى ، بل هو « يقود شخصيا عمليات الانقاذ » . وسرعان ما استثار هذا النبأ صيحات الارتياح في جميع انحاء الحي ، ترافقها رشقات الرصاص التقليدية التي اطلقت في الجو تعبيرا عن الابتهاج . وقد

اشارت اذاعة اخرى الى ان « بشير اصيب بجراح خفيفه في ساقه فقط ، وانه خرج من بين الانقاض » . ولكن في الساعة ١٩ و ٣٠ دقيقة ، اعلنت اذاعة « صوت لبنان » ، اذاعة الكتائب الرسمية ، ان مصير بشير الجميل ما زال غير مؤكد . وحين اخذت ، على غير عادتها ، تذيع موسيقى كلاسيكية فقط ، وكذلك اذاعة الدولة اللبنانية ، لم يعد الشك ممكنا : لقد مات « الشيخ بشير » .

وكما حدث عند المؤامرة التي كلفت الرئيس المصري انور السادات حياته في ٦ تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٨١ ، فان محطات التلفزيون الاميركية كانت اول من اذاع النبأ : لقد اغتيل بشير الجميل ، رئيس لبنان المنتخب .

وفي الساعة ٢٢ و ٣٠ دقيقة ، اكد بيان هاتفي صادر عن « الميليشيات المسيحية الموحدة » ، التي تشكل الكتائب هيكلها الاساسي ، بأن جثة بشير الجميل قد عثر عليها في انقاض المبنى . وضابط اسرائيلي هو الذي تعرف الى جثة بشير المزقة . وقد عثر رجال الاسعاف اثر ذلك على ٢٤ جثة اخرى ، منها جثث ثلاثة مسؤولين مهمين في حزب الكتائب الذي يقوده بيار الجميل ، والد الرئيس المنتخب .

واحصي ، من جهة اخرى ، ستون جريحا .

وساد الذهول في لبنان كله . وراح كل شخص يخمن من الذي يمكن ان يكون مرتكب المؤامرة ، وتكاثرت التعليقات . وراح مسؤولون كتائبيون يهمسون بأن « المتواطئين موجودون في الداخل » . وقد اكد احد اولئك المسؤولين لصحافي اسرائيلي قائلا : « ان مروحة الذين لهم مصلحة في اغتيال الرئيس المنتخب تراوح بين منظمة التحرير الفلسطينية والسوريين حتى النقيض الاقصى ... » .

وبالنسبة لاسرائيل ، كانت الضربة قاسية . لقد كان الرئيس الذي اغتيل العدو اللدود للفلسطينيين . وهو لم يتردد في ان يعلن ، اثناء مقابلة اعطاها قبل بضعة اشهر لمجلة « النوفيل اوبسرفاتور » ونشرت في باريس (١٩ — ٢٥ حزيران ١٩٨٢) ان هناك في الشرق الاوسط شعبا

زائدا عن الحاجة وهو : « الشعب الفلسطيني » .

وكان خصوم بشير الجميل يصفونه بانه « الرئيس الذي جاءت به الحراب الاسرائيلية » .
تعاون ، في الواقع ، مع اسرائيل طوال الحرب الاهلية في لبنان . وهذا التعاون كان واضحا للعيان منذ ٤ حزيران ١٩٨٢ ، عند بدء الحرب الاسرائيلية ــ الفلسطينية . ان رئيس الوزراء مناحيم بيغن ووزير الدفاع الجنرال شارون ، كانا ، بالاستناد الى وعوده السابقة ، يعتبرانه الرجل الذي سيوقع معهما معاهدة السلام . الم يعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي ، اثناء تظاهرة جبارة لتجمع « ليكود » (جبهة احزاب اليمين القومي الحاكمة في اسرائيل) ، في ١٧ تموز ، في تل ابيب ، امام ٢٥٠ الف شخص قائلا : « قبل نهاية هذا العام سوف نوقع معاهدة للسلام مع لبنان ! » ؟

وفي الواقع ، ان انتخاب بشير الجميل للرئاسة كان اول انتصار سياسي واضح للجنرال شارون في هذه الحرب. وحتى ذلك الحين ، كان خصومه يلفتون نظره ، في كل مناسبة ، الى انه لم ينجح في بلوغ هدفه المعلن : تدمير منظمة التحرير الفلسطينية ، وقيادتها . وكان البعض يضيفون ان هذه المنظمة ، بالعكس ، قد تعززت سياسيا على النطاق الدولي بالمحنة التي اصابتها . ان عدة اسابيع من الحرب الفتاكة ، كانت التدميرات والخسائر المدنية اثناءها كبيرة (١٨ الف قتيل و ٣٠ الف جريح حسب الاحصائيات اللبنانية) قد ادت الى انخفاض الدعم الممنوح لاسرائيل من قبل الرأي العام الدولي ، بما في ذلك في الولايات المتحدة . وحتى الطوائف اليهودية قد تمزقت ، وبصورة خاصة امام عمليات القصف المكثفة لبيروت الغربية .

وقد لاحظ منتقدو سياسة بيغن ان نشر « خطة ريغان » في ٢ ايلول قد وضع حدا لاحلام بيغن في ضم الضفة الغربية وقطاع غزة . واخيرا ، وبمثابة خاتمة لكل ذلك ، انقسمت دولة اسرائيل بالذات انقساما عميقا ، على نحو لم يسبق له

مثيل ابدا قبلا ، اذ كان كثير من الاسرائيليين يعتبرون هذه الحرب بمثابة صراع غير متكافيء بين داوود فلسطيني وجليات اسرائيلي ، حيث لم تكن حياة اسرائيل معرضة للخطر ، وهي حرب لم تكن فيها اسرائيل هذه المرة هي التي ظهرها الى الجدار ، بل هم الفلسطينيون ، وباختصار ، فهي حرب لا تتمتع بالشعبية ، مع معارضين كبيري العدد ، لم ينتظروا نهايتها لكي يتظاهروا ضدها ، وهذه ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة اليهودية .

حتى ذلك الحين ، استطاع وزير الدفاع ، ارييل شارون، المهندس الحقيقي للهجوم الاسرائيلي ، (على لبنان) ، ان يجيب بكلمه على هذه الانتقادات : اصبروا . وكثيرا ما كان يردد : « اصبروا ايها السادة ، وسنرى ظهور ثمار هذه الحرب » .

وفي منتصف آب ، دقت الساعة بالنسبة له لكي يخرج ورقته الرابحة : لقد انتخب بشير الجميل ، مرشحه ، رئيسا للدولة اللبنانية . وفي اطار استراتيجية شارون على نطاق الشرق الاوسط ، فان النظام الجديد الذي يطمح اليه في لبنان بدأ يرتسم . ان بشير الجميل ، الذي كان المراقبون يعتبرون بصورة عامة ان فرصه لبلوغ الرئاسة كانت معدومة لولا وجود الدبابات الاسرائيلية ، قد انتخب رغم الجميع ، وضد الجميع . ويستطيع ارييل شارون ان يحتفل بانتصاره، وهو شيء لم ينس ان يفعله . وكان رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن اول من ارسل برقية تهنئة متحمسة الى الرئيس اللبناني الجديد ، عقب انتخابه مباشرة .

وقد جاء في هذه البرقية : « كل تهاني من صميم القلب على انتخابكم ، وليحرسك الله ، ايها الصديق العزيز ، في تحقيق مهمتك التاريخية المهمة لاجل حرية لبنان واستقلاله » ، صديقك ، مناحيم بيغن .

لقد كلل انتخاب الجميل النشاط الاسرائيلي في لبنان ، وهو نشاط سري ، لكنه لم يتوقف منذ عام ١٩٧٦ ، لجعل الكتائب ، وزعيمها العسكري الشاب ، بشير الجميل ،

سادة لبنان . وقد تم العمل بجميع فروعه وانواعه : المساعدة العسكرية ، وتدريبات القوات في معسكرات خاصة في اسرائيل بالذات ، وتنسيق العمليات وخدمات الاستخبارات ، واللقاءات ، اخيرا ، بين الزعماء الكتائبيين والقادة الاسرائيليين ، قادة حزب « العمل » باديء بدء ، ثم ابتداء من عام ١٩٧٧ ، قادة « ليكود » . وهذا التعاون بين الجانبين قد تعزز ، دون انقطاع ، وليس من قبيل المصادفة ان رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال رفائيل ايتان قد استطاع ان يصرح بعد اغتيال بشير الجميل : « لقد كان واحدا من جماعتنا » . .

ومع ذلك ، فغداة انتخاب « الشيخ بشير » ظهرت في اسرائيل علامة اولى على القلق . فالرئيس اللبناني الجديد لا يبدو ابدا انه مستعجل في صدد الموضوع الذي يهم بيغن وشارون ، بالدرجة الاولى ، وهو التوقيع السريع على معاهدة سلام . وبذلت بصورة سريعة جدا الضغوط الاولى الاسرائيلية للتقدم في هذه الطريق ، لكن بشير الجميل اوضح حينئذ ان مثل هذه المعاهدة سوف تقطع لبنان عن العالم العربي الذي يعتمد الرئيس اللبناني عليه لاعادة تعمير بلده المدمر .

وكان بشير الجميل يجيب الاسرائيليين الذين كانوا يطلبون منه بالحاح للبدء بالوفاء بالتزاماته التي تعهد بها ، بأن الساعة لم تدن بعد ، وان عليه ان يحقق الاجماع والمصالحة الوطنية قبل ان يستطيع توقيع معاهدة للسلام .

وفي ليلة أول ايلول ، اي ١٥ يوما قبل اغتياله ، التقى بشير الجميل سرا ، في نهاريا ، البلدة الساحلية في شمال اسرائيل ، بمحادثيه الثلاثة الرئيسيين : بيغن ، والجنرال شارون ، ووزير الخارجية الاسرائيلي اسحاق شامير . وقد دخل النزاع حينئذ في مرحلته الحادة . ان بيغن ، المبادر الى عقد الاجتماع ، قد اعتبر ان الرئيس اللبناني الجديد ينكر تعهداته ، وقد طلب بيغن توقيع معاهدة سلام ترتدي ، في نظره ، اهمية رئيسية في الشرق الاوسط . واجابه بشير :

— « ان توقيع معاهدة مـــع اسرائيل ، **اليوم** ، سيكون مغناه ادخال شحنة من الديناميت الى قلب الشرق الاوسط» .
وناشد بيغن بأن يظهر الصبر ، وان ينتظر توصل الرئيس اللبناني الى استقرار سلطته . وقال بشير الجميل دون ان يحدد اية مهلة : « سلام ، على اساس الامر الواقع ، فليكن . اما السلام الموقع عليه حسب الاصول ، في وثيقة معاهدة ، فهذا فقط سيكون فيما بعد » .

وطوال اللقاء ، كان ارييل شارون يظهر نفاد صبـــره . وقد اعلن صراحة لبشير الجميل : « انني رجل يحب تسوية الامور بسرعة ، واخشى من ان تتفلت انت من بين اصابعي» .
وبلغ التوتر حينئذ ذروته ، وحسب المقربين من الجميل ، فان هذا قد قدم معصميه قائلا : « اذا كنتم تريدون اعتقالي ، فكل ما عليكم ان تقوموا به هو تقييدي بالسلاسل . وتذكروا انكم تتحدثون مع رئيس لبنان وليس مع تابع لاسرائيـــل . ونحن لدينا اسبابنا » .
ان المناقشة التي بدأت في الساعة ٢٣ ، استمرت هكذا حتى الثالثة فجرا . ولم تمر ٢٤ ساعة حتـــــى بدأت تظهر « التسريبات » الاولى . وقد تحدثت اذاعة دولة اسرائيـــل بالذات عن الاجتماع . وذلك ما احدث حالة غضب لا توصف لدى بشير الجميل . ان الدعاية التي اعطيت لهـــذا اللقـــاء تهدف ، كما كان الجميل متأكدا ، الى دفع الرئيس اللبنانـــي بالتعامل مع اسرائيل . ولم يأخذ احد مأخذ الجد التكذيـــب الفوري الذي اصدره الجميل للقائه مع بيغن وزميليه .

وابتداء من هذه اللحظة ، سيرفض بشير الالتقاء من جديد بالاسرائيليين ، باستثناء مرة واحدة ، وذلك في ١٢ ايلول ، اي قبل يومين من اغتياله ، حين التقى بالجنرال شارون في بكفيا ، مسقط رأس آل الجميل . وفي هذه المناسبة ، حدث بشير زائره شارون ، عن غضبه ازاء « الانباء المسربة عـــن لقاء الرئيس اللبناني الشـــاب بالمسؤولين الاسرائيليـــن المذكورين آنفا » . ثم كرر الجميل طلبه للاستفادة من مهلـــة زمنية كافية لكي يحقق استقرار الوضع في لبنان ، واعادة

العلاقات مع العالم العربي ، الذي قبل انتخاب الجميل دون ريبة .

واثناء مقابلة لبشير الجميل مع الزعيم المسلم صائب سلام اشتكى بشير علانية من ضغوط اسرائيل الممارسة عليه لكي يعقد اتفاقية سلام . ومن جهة اخرى ، اتصل بشير الجميل مباشرة برئيس تحرير صحيفة يومية لبنانية كبرى وهي « لوريان ـ لوجور » واعترف لها بأنه ذهب الى « نهاريا » لمقابلة بيغن ، وان على الصحيفة ان تساعده لاقناع اسرائيل بأن كل معاهدة للسلام في هذه اللحظة الدقيقة سوف تعادل تقسيم البلد . ودفعة واحدة ، ذاب الجليد بين الرئيس الجديد والمسلمين . وبموازاة ذلك ، ازدادت علاقات بشير الجميل مع اسرائيل تسمما .

ولم يكن شارون ، في الواقع ، مستعدا للتسليم بما يريده بشير الجميل . فبعد اسبوع من لقاء « نهاريا » السري، صرح شارون ، اثناء مهرجان عام في « كريات شموناه » ، انه اذا لم يوقع لبنان معاهدة سلام مع اسرائيل ، فانه ، اي شارون ، سيقيم « شريطا امنيا » على عمق ٤٠ الى ٥٠ كيلومترا ، في جنوبي لبنان ، وسيكون وضع هذا الشريط مختلفا عن وضع سائر لبنان . ولم يكن نادرا ان نسمع ، في الدوائر القريبة من الجنرال شارون ، من يقول : « بدون معاهدة سلام ، سوف نبقى في لبنان الجنوبي ، وسوريا ستبقى في سهل البقاع ، وسيجد الجميل نفسه حينئذ رئيسا لمنطقة بيروت فقط » . وقد تجاوبت بعنف صحيفة « هاآرتس» الاسرائيلية المستقلة ، وذلك في افتتاحية نشرت بعد يومين من تصريح شارون ، فأنبته فيها على « اوامره الشاهانية » وتهديداته « مشبهة اياه بامبراطور روماني يسعى لاملاء سياسته الخارجية على لبنان » .

ولم يبد ان هذه الملاحظات قد اثرت في وزير الدفاع الاسرائيلي . بل بالعكس ، فلكي يظهر شارون تصميمه ، وسع في جنوب لبنان المنطقة التي يسيطر عليها الرائد سعد حداد ، المنشق عن الجيش اللبناني ، والحليف بلا شروط

لاسرائيل والتابع لها كليا .

وبموجب هذه آلاوامر ، منع جيش الدفاع الاسرائيلي القوات الكتائبية من النزول نحو الجنوب . وفي الايام الاولى من ايلول ، وصل الامر بالجيش الاسرائيلي الى حد منع عقد اجتماع حاشد للكتائب في صيدا ، بعد رفض الكتائب رفع لافتات تدعو لتوقيع معاهدة سلام بين لبنان واسرائيل .

وحينئذ اعطى بشير الجميل اخر مقابلة صحفية له ، التي نشرت في ١٣ ايلول في مجلة « تايم » الاسبوعية الاميركية . وقد اكد الجميل في هذه المقابلة من جديد ان السلام مع اسرائيل « سيأتي في وقته » . وحدد بمثابة هدف اولوي استعادة الحكومة اللبنانية لسلطتها ومسؤوليتها بالنسبة للامن « على جميع الاراضي اللبنانية » .

وفي اسرائيل فهم هذا التصريح بمثابة ارادة لاستبعاد سعد حداد من المعاقل التي يحتلها ، وربما مع مثوله امام المحاكم بتهمة الفرار من الجيش . واثناء اللقاء الليلي في « نهاريا » ، حذر بيغن الجميل من اي عمل في غير موضعه ضد « محميه » (اي حداد المحمي من بيغن) ، معلنا بلهجة مهددة : « سوف ندافع عن اصدقائنا » .

وبالنظر الى الموقف الذي يبدو ان الرئيس اللبناني كان يتخذه ، فقد كان الجو داخل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية اميل الى الكآبة . وقد بدأ بعض مسؤولي هذه الدوائر يقولون بصراحة : « لقد حملنا الجميل على ايدينا الى الحكم ، والان يريد ان ينجح في مشاريعه على حسابنا » .

وحتى ذلك الحد ، فان اتجاهين قد ظهرا في الواقع بين القادة الاسرائيليين . واحد هذين الاتجاهين ، الحذر تجاه بشير ، كان يتهمه بأنه لا يعرف سوى الاخذ ، ايضا ودائما ، دون ان يعطي ابدا في المقابل . والاتجاه الاخر ، بالعكس ، كان يرى بأن الجميل لا يستطيع ان « يرد » الا بعد ان يستقر حكمه ، بالمساعدة الاسرائيلية ، وبلوغه مقاصده . وهذا الاتجاه الاخير ، يرى موقعه يضعف ساعة فساعة .

لقد ختم النقاش بالانفجار الذي هز الاشرفية ، موجدا

وضعا جديد كليا ، ووصل نبأ المؤامرة ضد الجميل الى طاولة الجنرال شارون بعد وقت قصير من ارتكابها . وسارع شارون لتقرير الاستفادة من الفرصة ، والدخول الى بيروت الغربية . ان فتح القسم الغربي من العاصمة اللبنانية هو ما كان يتمناه شارون منذ بدء الحرب .

وحسب الخطة المقررة في البدء ، كان على « القوات الكتائبية » ان تدخل الى بيروت الغربية في نهاية الاسبوع الاول من الحرب ، حين تكون اسرائيل قد وصلت الى ابواب العاصمه . لكن « الحلفاء الكتائبيين » ، عن ضعف او لاسباب سياسية ، لم ينفذوا نصيبهم من الاتفاق . وفي هذه الاثناء كانت القوات الفلسطينية والتقدمية قد نظمت نفسها وعززت استحكاماتها داخل بيروت الغربية ، منشئة بذلك خطرا بوقوع خسائر كبيرة في الارواح لدى الجانب الاسرائيلي المتأهب للهجوم . ومع ذلك فليس هذا هو ما كان يمنع الجنرال شارون من اقتحام بيروت الغربية .

وقد روى ضباط اسرائيليون كبار اشتركوا في حصار بيروت ــ وبينهم العقيد ايلي جيفا ، الذي استقال في نهاية تموز (١٩٨٢) تعبيرا عن احتجاجه ضد هجوم محتمل ضد بيروت الغربية ــ ان الاستعدادات لهجوم على هذه المنطقة قد صيغت تماما خلال الحصار الطويل ، وانه لم يكن ينقص سوى الامر لتنفيذ تلك الاستعدادات ، وقد تلقت كل وحدة كمهمة احتلال حي او مجموعة من البنايات المحددة بدقة ، وتم تدريب الوحدات على هذه العمليات لتحقيق هذا الغرض .

وحسب قول هؤلاء الضباط انفسهم ، فان شارون كان يلح على السياسيين لاعطاء الضوء الاخضر للعملية .

وفي هذه الاثناء ، كانت الجماعة الدولية قد نشطت وتوصلت الى حل بانسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية والقادة الفلسطينيين من بيروت ، تحت حماية قوة وساطة اميركية ــ فرنسية ــ ايطالية . وفي ٢١ آب ، نزلت في مرفأ بيروت العناصر الفرنسية الاولى . ومنذ ذلك الحين ، فان دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية اصبح

مستديلر ، على الاقل ما دامت وحدات القوة الدولية موجودة في المدينة .

وتدخلت اسرائيل حينئذ لدى الولايات المتحدة لكي تبر هذه بوعدها بسحب قواتها من « المارينز » بأكبر سرعة ممكنة ، بعد نهاية انسحاب الفدائيين في اول ايلول . وبصورة معاكسة ، بذل القادة اللبنانيون مساع فاشلة لدى السلطات الفرنسية لكي تبقي قواتها في المدينة وتساعد الجيش اللبناني للسيطرة على بيروت الغربية .

وفي ١٣ ايلول ، عشية اغتيال بشير الجميل ودخول الاسرائيليين الى بيروت الغربية ، فان الـ ٨٥٠ جنديا من رجال المظلات والمشاة (الفرنسيين) من قوة الوساطة المتعددة الجنسيات قد غادروا المدينة ، قبل عشرة ايام من انتهاء ولاية هذه القوات .

ان نائب رئيس الاركان الاسرائيلي ، الجنرال موشي ليفي ، قد قال في مقابلة اذيعت في الراديو بمناسبة عيد راس السنة اليهودية ، بعد يومين من دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية : « لقد كان واضحا جدا بالنسبة لنا ان علينا ان نتحقق نحن بأنفسنا ، على الارض ، مما اذا كان جميع الارهابيين قد غادروا بيروت فعلا » .

اما المراسل العسكري لصحيفة « هاآرتس » ، زيف شيف ، الذي يعد مرجعا موثوقا في اسرائيل ، قد كشف ان الجيش الاسرائيلي ، حتى قبل اغتيال بشير الجميل ، قد قرر الوصول الى مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، لاعتقال القادة الفلسطينيين ، الذين يمكن ان يكونوا موجودين هناك ، وعلى الاخص لمصادرة الوثائق المتروكة في اماكنها . ومن جهة اخرى فقد توقع الفلسطينيون هذا الاحتمال ، واتخذوا الاحتياطات لنسخ اهم وثائقهم على افلام مصغرة (ميكروفيلم) اخذها رجالهم معهم لدى انسحابهم .

وفي مقابلة اعطاها للصحفية الايطالية اوريانا فالاسي ، قبل اسبوعين من دخول « تساحال » (الجيش الاسرائيلي) الى بيروت الغربية ، كذب شارون انه فكر في شن هجوم

على بيروت الغربية . لكنه اضاف : « اذا ما اقتنعت بأن علينا الدخول الى بيروت ، لما استطاع احد في العالم ان يمنعني من ذلك . وسواء بصورة ديمقراطية أم لا ، فقد كنت سأدخل الى العاصمة اللبنانية ، حتى ولو لم تكن حكومتي موافقة على ذلك » .

وفي اسرائيل ، احدث تصريح شارون هذا فعل قنبلة ، الى حد ان شارون قد كذب كونه اعطى هذا التصريح ، واكد بأن اقواله قد تم تحريفها . ومع ذلك ، ففي ١٤ ايلول ، تصرف شارون على هذا النحو ، اي ان قوات الجيش الاسرائيلي قد دخلت بيروت الغربية .

منذ اعلان التفجير ضد الرئيس اللبناني ، شرع شارون في الاستعدادات للدخول الى القسم الغربي من العاصمة اللبنانية . وقد ارسل على عجل الى بيروت الغربية رئيس اركانه رفائيل ايتان . ومنذ ذلك الحين كشف ضابط من قوى الامن اللبنانية كان في منطقة مطار بيروت الدولي « لوكالة الصحافة الفرنسية » ان جسرا جويا اسرائيليا بدأ بالعمل في ١٤ ايلول في الساعة ١٨ . ومنذ تلك اللحظة ، نزلت الى ارض المطار دبابات وجنود اسرائيليون . وحين وصل نبأ الاعلان الرسمي لمقتل بشير الجميل ، اجرى شارون اتصالا مع رئيس الوزراء الاسرائيلي ، وقد قرر الرجلان ، معا ، دون الرجوع الى اعضاء الحكومة الاسرائيلية ، ان تقوم القوات الاسرائيلية باحتلال بيروت الغربية ، وجرى اطلاع وزير الخارجية اسحاق شامير ، وحده على هذا القرار ، وقد ايده .

وللمرة الثانية منذ اندلاع الحرب ، اتخذ قرار ذو اهمية رئيسية دون الرجوع الى الحكومة وبدون نقاش مسبق . المرة الاولى التي وضعت فيها الحكومة الاسرائيلية امام الامر الواقع ، كانت حين دخل الجيش الاسرائيلي الى بيروت الغربية . وقد تحدث شارون بعد ذلك عن هذا القرار بالدخول الى بيروت الغربية بصفته « احد اهم القرارات التي اتخذت اثناء الحرب اللبنانية » .

وفي مكتب الجنرال شارون ، في وزارة الدفاع في تل ابيب ، نشرت خريطة لهيئة الاركان رسمت فيها بصورة مسبقة ، كامل العملية للسيطرة على بيروت الغربية .

وعلى الهامش الاعلى للخريطة ، كان يمكن قراءة الاسم الرمزي للعملية وهو : « الدماغ الحديدي » . وتلقت الاركان العليا لجيش الدفاع الاسرائيلي ، اخيرا ، الامر المنتظر . اما اعضاء الحكومة ، مثل جميع السكان الاسرائيليين ، لن يعلموا بقرار الدخول الى بيروت الغربية ووضعه قيد التطبيق الا في اليوم التالي ، حين اعلن على موجات اذاعة «كل اسرائيل» .

وفي مقابلة اعطيت لصحيفة « معاريف » اليومية ، نشرت بعد يومين من الدخول الى بيروت الغربية ، صرح الجنرال رفائيل ايتان ، الملقب بـ « رفول » ، صرح دون مواربة :

« نحن الان في الداخل ، وسوف ننظف بيروت الغربية ، ونجمع جميع الاسلحة ، ونعتقل الارهابيين ، تماما كما فعلنا في صيدا وصور وفي كل مكان اخر في لبنان ، وسوف نعثر على جميع الارهابيين وقادتهم . وما ينبغي تدميره ، سوف ندمره . وسوف نعتقل من ينبغي اعتقاله ، وسنغادر بيروت بعد عقد اتفاق ، وبلوغنا اهدافنا في جميع الاراضي اللبنانية . وعندما سننسحب من هذه الاراضي ، حيث يعسكر جيشنا الان ؛ حينئذ سوف ننسحب ايضا من بيروت . ولكن طوال بقاء القوات الغريبة في لبنان ، لن نتحرك شبرا واحدا ، بما في ذلك من بيروت » .

وفي ١٤ ايلول ، في ساعة متأخرة من الليل ، كانت القوات الاسرائيلية تتخذ اخر استعداداتها . وفي الساعة ٢٣ ، وصل الجنرال ايتان ، رئيس هيئة الاركان ، الى المقر العام الاسرائيلي في كفرسيل ، وتفحص مع كبار الضباط الاسرائيليين خطة احتلال بيروت الغربية .

- ٢ -

الأربعاء في ١٥ أيلول

إسرائيل تحتلّ عاصمة عربيّة

ان الجنرال امير دروري هو ، داخل هيئة الاركان الاسرائيلية ، رجل مهم بصورة خاصة . وهو قائد المنطقة الشمالية من اسرائيل ، ويسيطر ايضا على الجولان وعلى المناطق المحتلة من لبنان منذ بدء الحرب . ويوم الاربعاء في الساعة صفر و ٣٠ دقيقة ، تلقى امر مهمة جديدة : الاستيلاء على جميع النقاط الحساسة في بيروت الغربية .

واشتد عمل الجسر الجوي الاسرائيلي . وكانت طائرات النقل الاسرائيلية من طراز « هيركول » تهبط في مطار بيروت الدولي ، المحتل من قبل الاسرائيليين . وكان يجري انزال اطنان من المعدات العسكرية ، وكذلك وحدات من رجال المظلات ، الذين كان يجري نقلهم فورا في سيارات اوتوبيس الى خطوط العمق نحو بيروت الغربية .

وتتألف هذه الوحدات من جنود الجيش العامل . ولم يكن هناك وقت لتعبئة الاحتياطيين . وفيما بعد ، صرح رئيس الاركان الجنرال رفائيل ايتان قائلا : « لم يسبق ابدا في تاريخ جيش الدفاع الاسرائيلي ان حدثت عملية بهذا الاتساع وبمثل هذه السرعة » .

وفي الساعة ٣ و ٣٠ دقيقة ، حتى قبل الدخول الاسرائيلي الى بيروت ــ الغربية ، في المقر العام « للقوات اللبنانية » ، هذه الميليشيات الموحدة لليمين المسيحي ، التي اسسها قبلا وقادها بشير الجميل ، عقد اجتماع رئيسي . ومن الجانب الاسرائيلي ، كان يشارك في الاجتماع الجنرالان شارون ودروري . وكانت الميليشيات المسيحية ممثلة بقادتها العسكريين الرئيسيين ، وعلى راسهم فادي افرام ، القائد العام ، والياس حبيقة ، المسؤول عن الاستخبارات ، وكان المجتمعون يقومون معا بوضع تفاصيل اشتراك الميليشيات المسيحية في عملية السيطرة على بيروت الغربية .

وفي ٢٢ ايلول ، سوف يكشف ارييل شارون للبرلمان الاسرائيلي ، « الكنيست » ، عن انه منذ هذا اللقاء « جرت مناقشة مبدأ دخول الكتائب الى مخيمات اللاجئين في بيروت »، وفي نهاية الاجتماع ، اعترفقائد عسكري كتائبي للاسرائيليين قائلا : « منذ اعوام ، نحن ننتظر هذه اللحظة » .

وكما قال ايضا الجنرال شارون ، فان القائد الاسرائيلي للجبهة الشمالية قد تلقى التعليمات التالية :

« يحظر على قوات الجيش الاسرائيلي الدخول الى مخيمات اللاجئين ، ان تمشيط وتنظيف المخيمات سيقوم بهما الكتائب او الجيش اللبناني » .

وفعليا ، فطوال اليوم ، تسارعت الاستعدادات لدخول الكتائب الى المخيمات ، وقام هؤلاء بالرسم بالدهان ، على جدران المباني ، علامات للاستهداء : حرفا م.ب. « ميليتاري بوليس ـ الشرطة العسكرية » وزاوية مرسومة في دائرة ، وهي رمز « القوات اللبنانية » ، كما رسمت اسهما تعين محاور دخول القوات الكتائبية : من مخرج الشويفات في جنوبي شرقي بيروت ، حتى السفارة الكويتية ، في اتجاه مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . وقد شهد بعد ذلك العديد من سكان بيروت الغربية بأن « القوات اللبنانية » ، طوال الساعات الاولى من الهجوم الاسرائيلي ، قد نظمت هذه العملية لكي تعين بالضبط الطريق الواجب اتباعها من جانب القوات التي لا تعرف المدينة .

وفي الفجر ، عند الساعة الخامسة ، بدأ الاختراق الاسرائيلي . وقد تلقت القوات الاسرائيلية الامر باجتناب اي اهراق للدماء بين السكان المدنيين وعدم اطلاق النار الا في حالة معارضة مسلحة . ووراء الدبابات ، كان المشاة يتقدمون ببطء ، من بناية الى بناية ، ملامسين احيانا المدنيين الاوائل الذين كانوا يستيقظون . وكان الهدف الاولوي للاسرائيليين الاستيلاء على مفارق الطرق ، وعلى العمارات الاكثر ارتفاعا التي تتيح السيطرة على تلك الانحاء .

وقد بدأت طائرة مطاردة وقاذفة قنابل اسرائيلية ، بعد قليل من بزوغ النهار ، بالقيام بغارات متكررة على ارتفاع منخفض فوق بيروت ، في عرض للقوة يصم الاذان ، ولكن دون الاشتراك في المعارك .

وفي حي الفاكهاني ، جنوبي بيروت الغربية ، حيث كان يوجد المقر العام لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى رحيل الفلسطينيين ، فان الاشخاص الذين فقدوا المسكن اثناء المعارك السابقة ، كانوا يغادرون مقرات المنظمات

الفلسطينية التي لجأوا اليها ، لكـــي يتكدسوا في مساجد المنطقة ، خوفا من عمليات قصف محتملة .

وبسرعة ، استولت « القوات » على بعض النقاط ــ المفاتيح ، التي كان يحتلها جنود القـــوة الدولية المتعددة الجنسيات ، والتي سلموها لدى انسحابهم الـــى الجيش اللبناني . وهذا الجيش ، امام التقدم الاسرائيلي ، انسحب فورا معسكرا داخل مبان موثوقة او اماكن بعيدة ، لاجـل مراقبة الاحداث . وكانـــت القوات الاسرائيلية تتقدم على خمسة محاور ، مطوقة بيروت الغربية ، ابتداء من الضاحية الجنوبية حتى المرفأ ، في شمالي العاصمة .

وفي فترة قبل الظهر ، تقدم الاسرائيليون :

١ ــ على طول الطريق الساحلية ، ابتداء من الاوزاعي نحو الشمال ، حتى كورنيش المزرعة ، الذي يجتاز المدينة من الشرق الى الغرب .

٢ ــ على الطريق المارة في غربي مخيمات صبـــرا وشاتيلا نحو المدينة الرياضية .

٣ ــ في شرقي المخيمات ، باتجاه ميدان سباق الخيل .

وفي فترة ما بعد الظهر ، سارت القوات الاسرائيلية على محورين جديدين :

٤ ــ من المرفأ نحو الغرب ، حتى قلب حي الفنادق .

٥ ــ على ممر المتحف ، من الشرق الى الغرب .

وكانت المجابهة ضد القوات الاسرائيلية ضعيفة جدا : بعض رميات مدفعية خفيفة ، وصواريخ مضـــادة للدبابات « ار بي جي » . ومنـــذ تحديد اماكـــن المقاومة ، كـــان الاسرائيليون يسددون دباباتهم التي تقصف عـــلى الفور . وكذلك فان الزوارق الحربية الاسرائيلية بدأت تقصف بكثافة وعنف الاهداف القريبة من شاطىء البحر ، وقد اعطيـــت الاوامر لاجتناب ، بصورة اولوية ، كل خسارة بشرية داخل القوات الاسرائيلية . ان اريبل شارون يخشى اكثر من كل شيء ان تتسبب اية خسائر كبيرة في ان يبهت نجاحه . وفعلا لقد كانت الخسارة ، في اليوم الاول ، محدودة جدا : قتيلان و ٥٠ جريحا . وفي كل عملية اقتحام بيروت الغربية ، لـــم

يصب الاسرائيليون باكثر من سبعة قتلى وزهاء مئة جريح .
« هذا هو النص الحرفي طبعا من جانب الكاتب »
وكذلك ، حسب اقوال الصحافة المحلية ، فان عدد الضحايا بين السكان المدنيين كان مئة قتيل وزهاء ٣٠٠ جريح، وهو شيء قليل بالمقارنة مع الاف القتلى الذين سقطوا منذ شن الحرب اللبنانية .
وقد جاء اريبل شارون في الساعة التاسعة الى الساحة ليقود شخصيا متابعة الاختراق الاسرائيلي . وقد جلس في المقر العام للقيادة على سطح عمارة كبيرة ، عند مفترق السفارة الكويتية ، من حيث يستطيع ان يراقب بصورة جيدة المدينة ومخيمات صبرا وشاتيلا . وبحضور الجنرالين ايتان ودروري اتصل بمناحيم بيغن هاتفيا وانبأه قائلا : « ان قواتنا تتقدم نحو اهدافها ، واستطيع ان اراها بعيني » .

وخلال ذلك اليوم ، جرى توجيه قوات جديده نحو بيروت . وقد جرى نقل عدة افواج من فيلق « غولاني » بطائرات الهليوكوبتر من اسرائيل الى مطار بيروت الدولي. وعلى اثرها ، جرى نقل دبابات من الافواج المدرعة التابعة لنفس الفيلق . الذي كان يقوده العقيد ايلي جيفا حتى استقالته . ان مقاومة بعض ميليشيات اليسار اللبناني التي اتخذت القرار بمقاومة دخول الجيش الاسرائيلي دون انتظار توجيهات احزابها ، ضد الالة العسكرية الاسرائيلية الهائلة، لا يمكن ان تكون سوى رمزية . وليس فقط لم يعد قرب الميليشيات اليسارية اللبنانية الـ ١٥ الف مقاتل فلسطيني، والجنود السوريون ، بل ان تفكيك الاستحكامات العسكرية على الخط الفاصل ، منذ ثلاثة اسابيع ، وازالة الالغام من هذا القطاع قد فتحا طريقا للمرور مريحة للدبابات الاسرائيلية .

وفي شمالي مخيمات اللاجئين ، حدثت بعض الاشتباكات مع ميليشيات للقوات اليسارية والاسلامية ، التي توحدت الان تحت راية « القوات الوطنية اللبنانية » . ولكن ، مع استثناءات نادرة ، كان التقدم الاسرائيلي يستمر حسب الخطة الموضوعة ، دون مفاجآت . بل ان الجنرال شارون

قد وجد الوقت ، حوالى الساعة الحادية عشرة ، للذهاب الى بكفيا لتقديم تعازيه الى آل الجميل .

وردا على سؤال اجاب في هذه المناسبة : « ان التاريخ لا يحدده هذا الرجل او ذاك » ، وحسب الشهود ، فــان شارون قد استقبل ببرودة كبيرة .

وقبل ذلك ، كان مبعوث خاص قد سلم عميد العائلة ، بيار الجميل ، برقية من مناحيم بيغن ، وصفت بشير الجميل بانه « وطني عظيم ناضل من اجل حرية واستقلال لبنان » .

وقد أعطي الامر للقوات الاسرائيلية بأن تنزع اسلحة جميع الميليشيات الاسلامية واليسارية ، على طول تقــدم القوات الاسرائيلية .

وهكذا ، بعد رحيل الفلسطينيين ، لن يبقى في لبنان ، الى جانب الجيش اللبناني الرسمي الضعيف ، سوى قــوة عسكرية واحدة منظمة هي : القوات اللبنانية لليمين المسيحي. وسوف تواجه الكتائب ابتداء من ذلك الحين وضعا جديــدا كليا . وهو وضع ، لم يكن الكتائبيون يحلمون به حتى فــي المنام . وقد اوضح العقيد « زفي البيليغ » ، المستشرق ، والحاكم الاسرائيلي السابق لقضاء النبطية قائلا : « بالنسبة للمجتمع اللبناني ، بصورة مفارقة ، « متناقضة » ، فــان التسلح الدائم للمدنيين كان عامل توازن وردع متبادلين ، ان دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية ، قد قلــب راسا على عقب المعطيات القائمة وهذه « القوات » قــد نزعت سلاح الاف من المواطنين ، وبينهم اعضاء حركة «أمل» الشيعية ، وهم في اغلبيتهم ، عمال وفلاحون بسطاء اشتروا اسلحتهم للدفاع الفردي ، من مدخراتهم الصغيرة . وقد وجد هؤلاء انفسهم عراة وتحت رحمة الكتائب » .

« معاريف ــ ٢٦ ايلول ١٩٨٢ »

ومنذ بدايـــة اختراقهم لبيـــروت الغربية ، اخــذ الاسرائيليون يبحثون عن مستودعات الاسلحة التي بقيت في اماكنها بعد انسحاب المقاتلين الفلسطينيين . ونحن نذكر ان الاسرائيليين قد حظروا على الفدائييـــن ان يحملوا معهم اسلحتهم الثقيلة ، بعكس وحدات الجيش السوري التــي

استطاعت ان تخرج من العاصمة اللبنانية مع جميع اسلحتها الثقيلة وغيرها من المعدات .

بل انه خلال عمليات انسحاب الفلسطينيين ، حدثت حادثة دبلوماسية حين حاول الفلسطينيون ان ينزلوا الى السفن عدة سيارات عسكرية ، توجب عليهم في النهاية التخلي عنها في قبرص لكي يسمح لهم بمواصلة طريقهم . وحسب « اتفاقات حبيب » ، فقد كان على الفلسطينيين ، اثناء انسحابهم ، ان يسلموا اسلحتهم للجيش اللبناني . لكن هذا الجيش لم يظهر حماسة ظاهرة ، ولم يدخل الا ببطء كبير الى بيروت الغربية ، بحيث اتيح للجيش الاسرائيلي السيطرة على بيروت الغربية ، التي بقي فيها العديد من مستودعات الاسلحة الثقيلة ، التي سلمت منظمة التحرير قسما منها الى الميليشيات اليسارية .

وفي الصفوف الاسرائيلية ، كان البعض يعلمون تماما اين توجد هذه المستودعات : انهم رجال الاستخبارات الذين يعملون في بيروت الغربية منذ اعوام . وعلى هذا النحو ، رأى السكان المذهولون بائعا متجولا للكاسيتات ، وهو متشرد ملقب بـ « ابو الريش » يعرفه الجميع ، ويعتبرونه مجنونا لا خطر منه ، كما رأوا اطفائيا وبوابا ، يقودون الوحدات الاسرائيلية ، مشيرين بالاصابع الى مخابيء الاسلحة ، والمشبوهين الواجب اعتقالهم .

وفي العالم بأسره ، اثار اعلان دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية موجة من الاحتجاجات . وكان الاسرائيليون ، من جهتهم ، منشغلين ، قبل كل شيء ، بردود الفعل الاميركية .

وفي الساعة التاسعة ، من ١٥ ايلول ، قام المبعوث الخاص للرئيس ريغان ، موريس درايبر ، بزيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، في القدس . وقد جاء درايبر في الواقع لاجراء مناقشة حول تنفيذ النقطة الثانية من « اتفاقات حبيب » : انسحاب جميع القوات الاجنبية من لبنان . وحسب قول صحيفة « معاريف » ، فقبل ان يلتفظ درايبر بأي كلمة ، رحب به مناحيم بيغن بهذه العبارات : « سيدي السفير ، لي الشرف بأن ابلغك بأن قواتنا ابتداء

من الساعة الخامسة من هذا الصباح ، تتقدم وتتخذ مواقعها داخل بيروت الغربية ، فمع الوضع الناشيء عن اغتيـــال بشير الجميل ، يمكن ان تحدث مذابح في بيروت » .

ولم يقل بيغن كلمة عن النية الاسرائيلية لفتح المخيمات الفلسطينية امام الكتائبيين . وسأل موريس درايبر ، بصورة ديبلوماسية جداً ، ما اذا كان الامر يتعلق بهدف محدود جداً . وبعد التوضيحات التي قدمها رئيس الوزراء الاسرائيلـي ، كرر درايبر مرارا متعددة قوله : « انـــا سعيد لسماعي ان العملية محدودة وصغيرة الحجم » . وعلى كل حال ، فطوال ذلك اليوم ، كان الناطقون الاسرائيليون يطمئنون الرأي العام بأن « الامر يتعلق بعملية محدودة ، سواء من حيث اهدافها او مدتها » .

ان الحجة الاولية لمناحيم بيغن ، القائلة بـأن الجيش الاسرائيلي يتدخل لفرض الحيلولة دون مذابح وانتشار الفوضى الشاملة في بيروت الغربية ، قد تكررت في جميع التصريحات الاسرائيلية الرسمية .

وفي اليوم التالي ، استعاد البيان الرسمي للحكومـة هذه الحجة المذكورة . وفيما بعد فقط ، اعطى اريبل شارون تفسيرا اخر . فأثناء مقابلة اذيعت في التلفزيون ، « في ٢٤ ايلول » قال شارون ان الجيش الاسرائيلي قد اضطر لاحتلال بيروت الغربية « لان الارهابيين قد تركوا وراءهم الافا مـن الرجال ، وكميات كبيرة جدا من الاسلحة ، ومقـرات عامة للقيادة ، وقادة » . وبعد ذلك تحدث رفائيل ايتان ، هـو ايضا ، في مقابلة مع صحيفة « معاريف » قائلا : « هنـاك الاف من الارهابيين المسلحين المختبئين في بيروت ، وفـي مخيمات اللاجئين » وفي كل مكان ، قبل ساعات من اغتيـال بشير الجميل ، ودخول القوات الاسرائيلية الـى بيـروت الغربية ، اكد رفائيل ايتان نفسه امام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع التابعة للكنيست ــ اوردت قوله صحيفة هاآرتز في ١٥ ايلول ــ : « لم يبق في بيروت الغربية سوى بضعـة ارهابيين ومكتب صغير لمنظمة التحرير الفلسطينية » .

وفي الواقع ، نعلم اليوم ان الاسرائيليين لم يعتقلوا او

يحددوا ــ في بيروت الغربية طوال الاسبوعين من احتلالهم لها « من ١٥ حتى ٢٩ ايلول » سوى هويات عدد صغير جدا من الفدائيين ، بالرغم من عمليات التمشيط المنهجي المنظم . وقد رفض الناطق باسم الجيش الاسرائيلي ان يقدم رقما مضبوطا ، لكن مصادر عسكرية اكدت ان عدد المعتقلين ، بعد الدخول الى بيروت الغربية ، لم يتجاوز في النهاية سوى بضع عشرات . وحسب قول مساعد وزير الخارجيةالاميركي نفسه ، نيقولا فليوتيس ، فان المعطيات التي قدمتها اسرائيل بالنسبة لعدد الفدائيين الذين بقوا في بيروت بعد تنفيذ اتفاقيات الانسحاب ــ وهو زهاء ٢٠٠٠ فدائي ــ لم تستخدم الا كذريعة للاستيلاء على القسم الغربي من العاصمة .

وفي البيت الابيض وفي وزارة الخارجية الاميركية ، يرفضون ادانة تقدم القوات الاسرائيلية ، مؤكدين بأن من الملح جدا اعادة الهدوء والاستقرار .

ومؤكد ان واشنطن تطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من العاصمة اللبنانية ، ولكن فقط في اطار الانسحاب المتزامن للقوات السورية والفلسطينية الموجودة في لبنان . وقد سلمت وزارة الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة لا تطلب انسحابا فوريا وبدون شرط للقوات الاسرائيلية التي دخلت بيروت الغربية ، رغم ان هذا الدخول يشكل خرقا لـ « اتفاقات حبيب » . وقد صرح جون هوغس ، الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية قائلا : « نحن نريد ان تسحب اسرائيل قواتها ، لكننا لن نصوغ كيفيات هذا الانسحاب » واضاف قائلا : « لقد كنا نريد ان يجري اطلاعنا على العملية ، لكننا نقبل التطمينات التي اعطتها الحكومة الاسرائيلية خلال الساعات الاخيرة » .

وفي الواقع ، ففي اروقة وزارة الخارجية الاميركية ، كانوا يبرهنون عن تفهم واسع ازاء الدوافع التي دفعت اسرائيل للدخول الى بيروت ــ الغربية ، وقد اكد ديبلوماسي اميركي في واشنطن « اوردت قوله وكالة الصحافة الفرنسية » بأن « اغتيال بشير الجميل قد اوجد وضعا قابلا للانفجار الى اقصى حد ، في العاصمة اللبنانية ، وكان

يتوجب بأي ثمن كان تلافي ان تفتنم عناصر مسلحة فرصة هذا الوضع المتفجر » .

وبمرور الساعات ، بدات وسائل الاعلام الاسرائيلية تكشف الستار عن الاتساع الكبير للحدث . ولم يعد الامر يتعلق بعملية تهدف فقط الى فصل المعسكرات القائمة ، لمنع الاضطرابات والمجازر المحتملة ، بل بالسيطرة الكاملة على المدينة . وفي هذه اللحظة فقط ، في واشنطن ، استدعى وزير الخارجية الاميركي جورج شولتز السفير الاسرائيلي ليسأله بلهجة اتهامية جدا ما هي الاهداف الحقيقية لحكومته « الاسرائيلية » وما هي المهلات المقررة للانسحاب من ببروت ؟

وفي اسرائيل ، اظهرت المعارضة العمالية منذ البدء انشغالها اكثر بكثير من الاميركيين بالعملية التي نظمها الجنرال شارون . كذلك كانت هي حال بعض الوزراء الاسرائيليين ، الذين اطلعوا على دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية ، من الاذاعة ، والذين ردوا بقوة ، وقد ندد احدهم « وقد طلب الاحتفاظ بسرية اسمه » امام المحرر الديبلوماسي لصحيفة « هاآرتس » بهذه « الفضيحة التي لم يسبق لها مثيل » « هاآرتس ١٦ ايلول ١٩٨٢ » . وقد قال وزير اخر ان وزير الدفاع قد اغتنم هذه الفرصة ليحقق ما كان يريد القيام به منذ زمن طويل دون الحصول على موافقة الحكومة. ويذكر بعض الوزراء بأن مناحيم بيغن قد تعهد بأن يجعل الحكومة الاسرائيلية تصادق على كل قرار للدخول الى بيروت الغربية ، مضيفين طبعا بأنه اخل بتعهده .

وقد اكدت صحيفة « دافار » العمالية ، في افتتاحيتها بأن « مكان الجيش الاسرائيلي هو خارج بيروت » . وقد ندد شيمون بيريز ، رئيس الحزب العمالي بهذه « العملية المغامرة » . وطلب انسحاب القوات الاسرائيلية من بيروت الغربية وابدالها بقوة دولية جديدة . وفي الوسط المحيط برئيس الوزراء الاسرائيلي ، وصفت اقتراحات القائد العمالي بأنها « حماقات » .

ولدى اعلان دخول الاسرائيليين الى بيروت الغربية ذهل قادة منظمة التحرير الفلسطينية . فقد سبق لهم ان

حصلوا على ضمانات موقعة حسب الاـ ول من المبعـــوث الاميركي فيليب حبيب لكي تضمن حماـه عائلاتهم بعـــد رحيل المقاتلين .

وعلى الفور صرح رئيس الـدائرة السياسية لمنظمـــة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي قائلا : « لقد اعطيـت لنا كلمة الشرف بان اسرائيل لن تدخل الى بيروت الغربية ، وهذه الكلمة قد انتهكت » . ان الرئيس الاسبق للحكومـة اللبنانية ، صائب سلام ، الذي لعب طـــوال اسابيع دور الوسيط لكي يتاح « لاتفاقات حبيب » النجاح ، والحصــول على رحيل مشرف للمقاتلين الفلسطينيين من بيروت ، قـد صرح هو ايضا ان الدخول الاسرائيلي الى القسم الغربـي من المدينة هو انتهاك للاتفاقات الموقعة . وقد اكد موظفـون كبار في وزارة الخارجية الاميركية الرأي الذي عبر عنـــه صائب سلام . وقد اكد من جهته رئيس الحكومة اللبنانيـة شفيق الوزان قائلا : « لقد خدعت اسرائيل ثقتنا » .

وعلى الارض ، كان الجيش الاسرائيلي يسعى لدفـع الجيش اللبناني للاشتراك في العمليات . ولكن دون نجاح : فالقادة العسكريون اللبنانيون رفضوا اي تعاون ، وبصورة خاصة رفضوا الدخول الى قلب مخيمات اللاجئين ، فـــي جنوبي المدينة . وفي المساء التقى الجنرال دروري بقائـــد القوات العسكرية اللبنانية « الجيش اللبناني » فـــي تلـك المنطقة ، العقيد ميشال عون . وقد اكد هذا للجنرال دروري ان شفيق الوزان قد امره بعدم التعاون بأي شكـــل مـع الجيش الاسرائيلي . وقد تلقى العقيد عون الامر باطـــلاق النار على القوات الاسرائيلية اذا تقدمت داخل بيـــروت الغربية ، ان الجيش اللبناني ، الذي بدأ باكتســاب ثقـــة المسلمين ، لا يستطيع السماح لنفسه ، كما اوضح العقيـد عون ، بأن يلطخ سمعته بالتعاون مع القوات الاسرائيليـة المجتاحة لبيروت الغربية . ولدى الجيش اللبناني خطتـــه الخاصة للسيطرة على بيروت وعلى المخيمات الفلسطينية ، وهكذا مثلا ، احتل الجيش اللبناني قبل ذلك بأسبوع مخيـم برج البراجنة دون اصطدامات ودون التسبب باضطرابات . وحسب هذه الخطة ، لم تتحقق السيطرة على مخيمات صبرا

وشاتيلا ، الواقعة الى الشمال ، الا فيما بعد .

« هذا هو النص كما اورده الكاتب طبعا »

وقد قرر الجيش الاسرائيلي امرا اخرا مختلفا، فمنذ الظهر ، قامت الدبابات الاسرائيلية بتطويق مخيمات صبرا وشاتيلا ، التي لا يفصلها اي حد واضح ، وسددت الدبابات الاسرائيلية مدافعها نحو تلك المخيمات . وبعد ذلك بقليل ، اقام الجنود الاسرائيليون حول المخيمات نقاط مراقبة تتيح مراقبة عمليات الدخول والخروج . وفي داخل المخيمات ساد القلق الشديد ، واوى السكان الى منازلهم واحتموا بها.

ومن الوجود السابق للفدائيين الفلسطينيين الذين حموهم خلال زمن طويل ، وصمدوا لحصار بيروت الغربية ، لم يبق شيء ظاهر ، سوى بعض الملصقات القديمة على جدران المنازل المتداعية . ان اللاجئين الفلسطينيين في المخيمين ، واغلبهم من المسنين ، والاولاد والنساء ، قد رفضوا اي مجابهة مع الجيش الاسرائيلي ، لاجل تلافي اعمال الثأر ، في حين كانت قد بدأت اعادة بناء المنازل التي اصيبت بالقصف في آب ، وكان موسم الامطار يقترب . ومنذ رحيل المقاتلين الفلسطينيين ، كان كل اثر للتنظيم المسلح قد اختفى في المخيمين .

وخلال نهاية فترة بعد الظهر ، وفي الساعات الاولى من المساء ، اطلق الجيش الاسرائيلي بعض القذائف في اتجاه صبرا وشاتيلا . ان الدكتور بير مايهلوشاجن ، وهو جراح في مستشفى غزة ، الواقع غربي مخيم صبرا ، قد شهد بأن الجرحى الاوائل ، وهم زهاء ١٥ شخصا ، قد جاؤوا الى المستشفى منذ مساء يوم الاربعاء . ووصل جرحى اخرون ، وهم بصورة عامة ضحايا القناصين ، قد وصلوا في مساء ذلك اليوم الى مستشفى عكا ، القائم على الجانب الاخر من الطريق التي تحد من الجنوب مخيم شاتيلا .

روى زكي ، وهو عامل كهربائي ، انه قد توجه ، مع بعض سكان المخيم ، نحو موقع اسرائيلي ، ليعرب عن خوفه من مهاجمة جماعات لبنانية مسلحة للمخيم . وقد طمأنهم الجنود الاسرائيليون ، مؤكدين لهم بأنه لن يحدث لهم اي

شـيء ، « بما انهم مدنيون وليسوا ارهابيين » . وصدر الامر حينئذ الى زكي ورفاقه بالعودة الى منازلهم .

وقبيل هبوط الليل بقليل ، قطعت الكهرباء بغتة عن كل بيروت الغربية . واصبحت المدينة في ظلمة تامة كليـــا . وروى جندي اسرائيلي شاب في التاسعة عشرة من عمره بأن وحدته قد تلقت حوالي الساعة ٢٢ ، الامر بالبدء باطلاق — بعد منتصف الليل — صواريخ مضيئة فوق مخيمي صبرا وشاتيلا . وابتداء من منتصف الليل ، كانت تقطع الصمـت من حين الى اخر داخل المخيمين طلقات متفرقة . وبالنسبـة الى سكان المخيمين ، كان يوم جديد ينتهي ، هو اليوم الرابع بعد المئة من الحرب الاسرائيلية — الفلسطينية .

-٣-

الخميس في ١٦ أيلول

"أصدقاؤنا يدخلون المخيّمات" "تهانينا!"

خلال ثلاثين ساعة ، انهى الجيش الاسرائيلي مهمته وسيطر على كل بيروت الغربية . ويوم الخميس ، في الصباح الباكر ، سقط في أيدي الاسرائيليين حي الاعمال في « الحمراء » . وقد أحدثت الدبابات الاسرائيلية كثيرا من الاضرار لدى مرورها ، عمارات للسكن بقرت بطونها ، ومخازن دمرت ، وسيارات سحقت . ان حي الحمراء ، الذي استعاد منذ بضعة ايام فقط ببطء مظهره فيما قبل الحرب أخذ يعاني الحرب من جديد . ان العديد من المحلات التجارية ، التي جرى تجديدها على امتداد أكثر من كيلومتر ، بعد عمليات القصف في آب ، قد أصيبت بالاضرار من جديد ، وعند كل مفترق طرق ، كان التكتيك الاسرائيلي هو نفسه ، ان مدفع الدبابة ، المسدد الى محور شريان كبير ، يطلق النار لفتح الطريق للمشاة . واثر ذلك ينتشر هؤلاء بقوة ، مع اجتناب الدخول الى داخل الازقة الصغيرة . وقد قضى السكان طوال فترة قبل الظهر في الملاجيء ، لحماية أنفسهم على حد سواء من المدافع الاسرائيلية ومن راجمات الصواريخ لدى الميليشيات اليسارية اللبنانية .

أن فوجين من الدبابات والمشاة الاسرائيليين ، انطلقا ، أحدهما من المطار والاخر من المرفأ ، قد التقيا قبل الظهر ، قرب السفارة الاميركية ، على جادة باريس (كورنيش المنارة) وهي من أجمل شرايين العاصمة اللبنانية .

وحوالي الظهر ، تمت السيطرة الاسرائيلية على بيروت الغربية بصورة كاملة . وللمرة الاولى في تاريخها ، افتتحت اسرائيل عاصمة عربية . وفي مكاتب وزارة الدفاع ، في تل أبيب ، كان يجري الاحتفال بعيد رأس السنة اليهودية . وقد أغتنم أرييل شارون هذه الفرصة لكي يشرب نخبا ويعلن لمرؤوسيه نجاح عمليته . وأعلن الناطق العسكري في بيان قائلا : « ان الجيش الاسرائيلي يسيطر على جميع النقاط الاستراتيجية في بيروت . ان مخيمات اللاجئين ، التي تضم تجمعات الارهابيين قد طوقت واقفلت » .

ويشير تقرير عن العمليات نقل الى هيئة الاركان في تل أبيب . الى انه بقيت فقط « بضعة جيوب للمقاومة » ، لم يمكن

تنظيفها بعد . ويتعلق الامر بحي الفاكهاني ، حيث كانت توجد مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ، وبمخيمي صبرا وشاتيلا .

وقد أيقظت سكان المخيمين ، منذ الفجر، الضجة الشديدة للطائرات الاسرائيلية المنطلقة فوق المنازل . وكان المخيمان مطوقين كليا من قبل القوات الاسرائيلية . وكان رماة ماهرون متمركزين حول المخيمين ، يختارون أهدافهم من المارة في الازقة، وبعد قليل وصلت القذائف الاولى ، المطلقة من المرتفعات المجاورة، وطوال ذلك اليوم كان يتدفق الجرحى على مستشفى غزة ، حيث يعمل الاطباء والمرضات دون توقف . وكان قسم من الجرحى يحول نحو مستشفى المقاصد ، البعيد خمسماية متر عن مستشفى غزة .

ومنذ بدء النهار ، أنهت الميليشيات المسيحية استعداداتها لاحتلال المخيمات . وبعد محادثة مع أرييل شارون ، طلب رفائيل ايتان من الجنرال دروري أن يتحقق بنفسه ما اذا كان الكتائبيون مستعدين للدخول الى المخيمين . وحوالي الظهر ، التقى هذا (أي الجنرال دروري) في مقره العام ، بقائد « القوات اللبنانية » فادي افرام ، وسأله ما اذا كان رجاله قادرين على الدخول الى صبرا وشاتيلا . وكان جواب القائد الكتائبي : « نعم ، فوراً » .

غادرت القوات الكتائبية قواعدها ، لتتجمع قرب المطار الدولي . واتجه زهاء ألف وخمسماية رجل نحو بيروت الغربية ، مسترشدين بالاسهم والاشارات التي رسمت بالدهان في الامس على جدران المدينة .

وفي الساعة ١٥ ، التقى الجنرال آموس يارون ، قائد القوات الاسرائيلية في بيروت ، مع اثنين من ضباطه ، بالمسؤول عن استخبارات القوات اللبنانية ، الياس حبيقه ، وفادي افرام .وبمساعدة صور فوتوغرافية جوية قدمتها اسرائيل ، كان المجتمعون يصوغون مجمل عملية الدخول الى المخيمين . وقد أكد الجنرال الاسرائيلي للمسؤولين الكتائبيين بأن قواته ستقدم كل المساعدة الضرورية « لاجل تنظيف المخيمين من الارهابيين » . وقد اتصل الجنرال دروري اثر ذلك هاتفيا ،

باريبل شارون وأعلن له قائلا : « ان أصدقاءنا يتقدمــون في المخيمين . وقد قمنا بتنسيــق دخولهم » ، فأجابـــه اريبل شارون « تهانينا . نحن نوافق على عملية اصدقائنا » .

ونحن لا نعلم ما اذا كان دروري قد أبلغ وزيــر الدفــاع الاسرائيلي بما قال له القادة الكتائبيون وهو « انه ستحدث في المخيمين ضربات قاتلة » . وبعد المذبحة ، سيقول شـــارون أمام الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) بـــأن « المسؤوليـــن العسكريين الاسرائيليين قد أوضحوا للكتائبيين بان قواتهم ــ أي القوات اللبنانية ــ يجب أن تدخل الى مخيم شاتيلا مــــن الجنوب والغرب لاجل تمشيطه وتنظيفه مـــن الارهابيين » . واضاف شارون : « وقد أوضحنا جيدا اثناء لقاءات التنسيــق ان العملية يجب أن تجري ضد الارهابيين وأنه لا ينبغي المس بالسكان المدنيين، وبصورة خاصة النساء والاطفال والشيوخ»!

وفيما بعد ، علمنا بأن عدة ضباط اسرائيليين كبــــار ، يعرف أسماءهم اليوم بعض الصحافيين في اسرائيل ، قـــد أصدروا تحفظات قوية أمام القرار بالترخيص للكتائبيين بالدخول الى المخيمين . وقد أشاروا الى ان اللاجئين الفلسطينيين، الذين بقوا في المخيمين ، بعد رحيل منظمة التحرير الفلسطينية ، قــد أصبحوا بلا دفاع ، وهم معرضون لان يكونوا موضع أعمـــال ثأريـــة دامية من قبل الميليشيات المسيحية . وفي ٣١ تشرين الاول ، خلال افادته أمام لجنة التحقيق ، كشف الجنرال دروري بان أحد ضباطه ، المسمى ريوبين ، قد حذره من مذبحة تصيب الفلسطينيين بأيدي الكتائبيين .

ويجب ان نتذكر انه قبل بداية الحرب (٤ حزيران ١٩٨٢) ــ التي كانت التحضيرات لها قديمة ، لان الساعة « ج » قد حددت خمس مرات ، منذ وصول اريبل شارون الـــى وزارة الدفاع في صيف عام ١٩٨١ ــ انه حين جرى الايضاح بـــان القوات الكتائبية سوف تشترك في معارك بيروت الغربية ، فقد وجد ضباط اسرائيليون كبار يشجبون هذا القرار . وكـــان هؤلاء الضباط يشككون في فعالية وانضباط الكتائبيين ، والحوا على وجود خطر بأن تتلطخ سمعة الجيش الاسرائيلي مـــن

« أخطاء » محتملة اذا شارك رجال بشير الجميل في العمليات في بيروت الغربية . ومنذ بدء الحرب ، ازدادت هذه المخاوف .

ان رجال القوات اللبنانية قد كشفوا عن تفاهتهم كمقاتلين، ودون دافع عظيم لديهم . والمعركة الوحيدة التي اشتركوا فيها بصورة كاملة كانت معركة الاستيلاء على كلية العلوم ، في الحدث ، وكان دعم الجيش الاسرائيلي ضروريا لهم لكي يتغلبوا . وفي المقابل فقد اصبح لدى الكتائبيين تصميم اكبر بكثير ضد خصومهم اللبنانيين بعد مرور الجرافة الاسرائيلية . وقد هاجم الكتائبيون بصورة خاصة الدروز ، مقتالين عشرات من المدنيين في قرى الشوف وفي منطقة عاليه . ومثال ذلك : حين ادخلهم الجيش الاسرائيلي ، بتوجيه من الحكومة الاسرائيلية ، الى قرية سوق الغرب الدرزية ، قتل الكتائبيون ١٤ قرويا ، وسط حفلة زفاف ، وفي مكان اخر ، طلب الكتائبيون الاشتراك في الهجوم على تلة تمركز فيها الفلسطينيون ، على محور بيروت ــ دمشق . وفي الطريق ، غير الكتائبيون هدفهم ، لكي يهاجموا من جديد الدروز ، أعداءهم الالداء . وبعد معركة ضارية ، فتاكة ، اضطر الجيش الاسرائيلي للتدخل لاجتناب هزيمة الكتائبيين ، وقد لقي جندي اسرائيلي مصرعه في هذه المعركة .

ان شكاوى ضد أعمال عنف ، وسرقات ، وعملية اغتصاب للنساء ، والاستيلاء على أموال الناس ، التي ارتكبها الكتائبيون ، في المناطق المحتلة من قبل الجيش الاسرائيلي في لبنان ، قد وصلت ــ اي الشكاوى ــ الى القيادة الاسرائيلية منذ الايام الاولى من الحرب ، وقد تحدثت الصحافة الاسرائيلية عن بعض هذه الاعتداءات .

ان ايتان هابر ، المراسل العسكري لـ « يديعوت أحرونوت » الصحيفة الاوسع انتشارا في اسرائيل ، قد وصف على هذا النحو الكتائبيين ، فقال : « ان السلطات العليا للجيش الاسرائيلي تعلم منذ زمن طويل ان المقاتلين الكتائبيين (اذا صحت تسميتهم « مقاتلين ») ليسوا سوى خليط ملموم من الشبان بل ومن الفتيان ، مستواهم في القتال أقل من ضعيف ،

ومستوى أخلاقهم أقل من ذلك أيضا . ان بعضهم ، من الذين اقاموا حواجز في بيروت ، قد استسلموا لرشاوى الارهابيين (مقاتلي منظمه التحرير الفلسطينيه) وقبلوا مقابل نقود نقدا وعدا ، بأغماض العيون ، والسماح بمرور الاغذية وغيرها من المواد المحظورة أثناء فترة حصار بيروت الغربية . وهؤلاء ، أي الكتائبيون هم ، في النهاية ، حثالة منظمة ، مع بذلات عسكرية ، وعربات سيارة ، ومعسكرات للتدريب ، وقد ارتكبوا عمليات وحشية فظيعة » .

وهذا الراي تشارك فيه الاكثرية الساحقة من المراسلين العسكريين الاسرائيليين الذين أتيح لهم الاقتراب من الكتائبيين: منذ عام ١٩٧٦ ، تاريخ بدء تعاون هؤلاء مع الاسرائيليين ، وتلقوا تدريبا عسكريا في معسكرات جيش الدفاع الاسرائيلي، في اسرائيل بالذات .

ان الكتائبيين لم يخفوا أبدا عن الاسرائيليين عزمهم على تذبيح الفلسطينيين والشواهد في هذا الموضوع عديدة ، بما فيها في الصحافة الاسرائيلية . والشهادة الاكثر اثاره قد ذكرها النائب أمنون روبنشتاين ، عضو حزب شينوي الوسطي الصغير . فقد روى أثناء النقاش في الكنيست ، الذي تلا اعلان مذابح صبرا وشاتيلا ، انه التقى، بمناسبة زيارة برلمانيين اسرائيليين لجنوبي لبنان الذي تحتله اسرائيل ، بأعضاء كتائبيين لم يترددوا في عرض عزمهم على اجراء مذبحة ضد الفلسطينيين . وقد قال أحد هؤلاء الكتائبيين : « ان موت فلسطيني واحد هو تلويث . وموت جميع الفلسطينيين ، هو الحل » . ونحن نستطيع ان نقرأ أيضا في صحيفة « باماهانه » الاسبوعية الناطقة الرسمية باسم الجيش الاسرائيلي ، بتاريخ أول أيلول (أي قبل اسبوعين من مجازر صبرا وشاتيلا) ما يلي : لقد سمع ضابط كبير اسرائيلي من فم ضابط كتائبي العبارة التالية : « ان السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو بأي شيء نبدأ ، بالاغتصاب ام بالقتل . (...) ولو كان لدى الفلسطينيين شيء من العقل ، لكان عليهم ان يحاولوا مغادرة بيروت . وأنتم ليست لديكم فكرة عن المذبحة التي

ستصيب الفلسطينيين ، مدنيين وارهابيين ، الذين سيبقون في المدينة ، ومحاولتهم في الذوبان في السكان لا جدوى منها . ان سيوف وبنادق المقاتلين المسيحيين ستطاردهم في كل مكان ، وتبيدهم مرة أخرى ونهائيا » .

ان الضباط الاسرائيليين الذين هم على اتصال دائم مع القوات المسيحية قد سمعوا مرارا عديدة جدا عبارات من نوع : « سوف نقتلهم جميعا » أو « سوف يسيل الدم حتى الركب » .

ان ضابطا اسرائيليا حين علم بقرار شارون السماح للكتائبيين بالدخول الى المخيمين ، قد علق بالعبارة التالية : « يجب أن لا يدهش الذي ادخل الثعلب الى فم الدجاج اذا افترس الثعلب الدجاجات » ، وقال ضابط اسرائيلي قضى وقتا طويلا في هيئة أركان الجبهة الشمالية : « ان القوات اللبنانية تشبه رجال ميليشيات سعد حداد ، وكلاهما يتظاهر بالبطولة ازاء المدنيين العزل » . وقد ذكر هذا الضابط بأن قوات سعد حداد ، في اذار ١٩٧٨ ، أثناء « عملية الليطاني » واجتياح اسرائيل الاول للبنان ، قد اكتفت ، أي قوات حداد ، باتباع الجيش الاسرائيلي ، ناهبة وقاتلة في مرورها بالقرى . وفي بلدة الخيام ، بصورة خاصة ، جرى اغتيال جميع السكان بوحشية ، رجال حداد يعبئون شاحناتهم بجميع ممتلكات السكان .

ولا شيء يوضح بصورة أفضل الحالة الذهنية للقيادة الاسرائيلية مثل حادث صغير ، روته صحيفة « دافار » اليومية العمالية . فبعد قرار أرييل شارون بالترخيص للكتائبيين بـ « تنظيف المخيمات » ، اقترح أحد الاسرائيليين ان ينضم الى الكتائبيين ضابط ارتباط اسرائيلي . لكن ضابطا اسرائيليا كبيرا قد رفض هذا الاقتراح ، محتجا بأنه يمكن أن يتوقع ارتكاب الكتائبيين تجاوزات ، ولن يكون مناسبا أن يكون للجيش الاسرائيلي ضلع في ذلك . وهذا الضابط نفسه كان يعلم بأن عملية الكتائب يقودها الياس حبيقه ، المعروف لدى الاسرائيليين منذ زمن طويل ، مع كل ما يمكن ان يعني ذلك .

ان اتصالات الاسرائيليين بالياس حبيقه تعود الى عام

١٩٧٦ ، حين أرسله بشير الجميل الى الجنوب اللبناني ، تلبية لطلب اسرائيل ، لكي يدعم مع بضع عشرات من الرجال نشاطات سعد حداد ، في معاقله ، ولم يكن حبيقه في ذلك الحين قد تجاوز الثانية والعشرين من العمر . لكنه كان في ذلك الحين، حسب قول الصحافة الاسرائيلية ، قد قدم براهين على وحشيته العدوانية ، باغتياله عدة أشخاص مدنيين لبنانيين وفلسطينيين، الى حد أن الاسرائيليين ، بعد حين ، قرروا التخلص منه وارساله الى بلده ، لاجتناب أن تنعكس عليهم نشاطاته « غير النظامية » . لكن الاسرائيليين لم يقطعوا تماما كل علاقة مع الياس حبيقه . وحسب قول الصحافة الاميركية ، كان هذا على اتصال ، بصفته مسؤولا عن الاستخبارات في المجلس الحربي للقوات اللبنانية ، مع وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ، والموساد (الدوائر السرية الاسرائيلية) ، وكونه ، أي الياس حبيقه ، قد تابع دروسا في اسرائيل .

وهذه المرة ، دخل حبيقه ورجاله الى المخيمات الفلسطينية بمباركة من اسرائيل .وحسب تحقيق اذاعة التلفزيون الاسرائيلي ، فان حبيقه قد جمع ، في مقره العام ، معاونيه الرئيسيين . كان هناك نائباه أميل عيد وميشال زوين ، وقائد الشرطة العسكرية الكتائبية ديب انستاز ، وقائد بيروت الشرقية مارون مشعلاني ، والمسؤول عن الكوماندوس جوزيف أده . واخيرا ضابط الارتباط الدائم مع القوات الاسرائيلية ، « جيسي » الذي كان يردد لمن يريد أن يسمعه أنه لا يوجد حل سوى تذبيح الفلسطينيين في مخيمات بيروت .

لقد تحركت وحدة من ١٥٠ كتائبيا تجمعت قرب المطار .

واجتازت حي الاوزاعي ، ومرت امام ثكنة هنري شهاب ، ووصلت الى المقر العام للقوات اللبنانية ، القائم عند مفترق السفارة الكويتية ، في مبنى للامم المتحدة . وفي المقابل ، نحو الشمال ، كان الاسرائيليون قد اقاموا عند نفس المفترق مركزا للرصد والقيادة في مبنى ضباط الجيش اللبناني . وهذا المركز يبعد مائتي متر عن أحد الاماكن حيث كانت تجري المذابح في مخيم شاتيلا . ومن سطح ذلك المبنى المؤلف من سبع طبقات،

يمكن الاطلال على المخيم كلـــه .

وأمام أجهزة الارســال ، تلقى الجنود الاسـرائيليون الذين اقاموا حواجز عند مدخل مخيم شـاتيلا ، الامر بالسماح بمــرور القوات الكتائبية عند مغيب الشمس . وتبين شهادات سكان « بير حسن » ، وهو مخيم قائم على مقربة من ثكنة هنـــري شهاب ، ان القوات الاولى من الميليشيات المسيحيـــة (٢٥ سيارة جيب) قد مرت أمامهم في الساعة ١٦ . وقد اتجهــت نحو السفارة الكويتية . وقد أصيب سكان المخيم بالخــوف ، فذهب بعضهم الى المقر العام الاسرائيلي ، حيث طلب اليهــم العودة الى بيوتهم وان لا يخافوا . ولم يتبع بعض سكـــان المخيم المدنيين نصيحة الضباط الاسرائيليين ، وفضلوا النــوم في بناية على مقربة من السواحل . وفي اليوم التالي ، لجـــأوا الى ثكنة هنري شهاب . وحسب شهادة الذين بقوا احياء مـن مخيم شاتيلا ، فان عدة عصابات كتائبية أدخلت الـــى المخيـم قبل الساعة ١٨ ، وقد بدأت المذابح الاولى قبل هبوط الليل في الحي المسمى « عرسال » ، تجاه المقر العام الاسرائيلي .

وتتفق عدة شهادات على هوية القتلة . وهم ، فـــي اكثرهم الكبيرة ، اعضاء في القوات اللبنانية ، اي بصـــورة اساسية ميليشيات كتائبية من حزب الكتائب ــ حزب بيـــار الجميل ، المؤسس عام ١٩٣٦ ــ التي انضمت اليها ، فـــي تموز عام ١٩٨٠ ، الميليشيات المسماة « النمور » مـــن حزب الوطنيين الاحرار بقيـــادة الرئيس اللبنانـــي الاسبق كميل شمعون ، وفريق من جماعة يمينية متطرفة تسمى « حــراس الارزة » ، بقيادة اتيان صقر ، واخذت العصابات المسلحـــة تذرع المخيم على متن سيارات جيـــب قدمها لها الجيـــش الاسرائيلي ، وكان رجالها يرتدون الزي الاخضر الغامـــق المزين بشعاراتهم ، والذي يعرفه جميع اللبنانيين . وكـــان بعض رجال القوات اللبنانية مسلحين بالسكاكين والفؤوس. وهذه الوحدات تابعة للاستخبارات والشرطة العسكريـــة والكوماندوس الكتائبية .

وقد اكد سكان المخيمين ، باصرار كبير ، بعد ذلـــك ، ان رجال الرائد سعد حداد قد اشتركوا هم ايضـــا فـــي

المذبحة . وقد تعرفوا اليهم من شاراتهم ، وعلى الاخص ، من لهجتهم الجنوبية واسمائهم . وفي حين ان القوات اللبنانية ، المؤلفة من ١٢ الف رجل ، هي مسيحية حصرا ، فان قوات الرائد حداد « زهاء ستة الاف رجل » تضم عددا كبيرا من الشيعة . ويؤكد لاجئو مخيم شاتيلا انهم سمعوا جنودا يرتدون الزي العسكري ينادي بعضهم بعضا باسمائهم الاولى مثل « علي وعباس » ، وهي اسماء شيعية نموذجية . وقد كذب سعد حداد بنفسه اي اشتراك لقواته في المذابح . لكنه اضاف ، في مناقشة مع صحافيين اسرائيليين : « هناك اعضاء من جيشي قد انتقلوا الى خدمة قوات بشير الجميل ، ويمكن ان يكون هؤلاء الفارون ، الذين يحملون شارة « لبنان الحر » قد اشتركوا في المذبحة » وقد رد سعد حداد على تأكيد قائد اسرائيلي بأن بعض اعضاء منظمة حداد قد اعتقلهم الجيش الاسرائيلي بعد المذبحة قائلا ، اي سعد حداد : « ان الامر يتعلق بثلاثة او اربعة من رجاله حاولوا انقاذ ذويهم الساكنين في المخيمين ، بعد اعلان المذبحة » .

وعلى كل حال ، كما اوضح حداد ، فهو قد تلقى الامر بأن لا يتجاوز نهر الاولي ، شمالي صيدا .

ومع ذلك فان بعض سكان الشويفات ، وهي بلدة تقع جنوبي المطار ، وخلدة ، جنوبي بيروت ، قد اكدوا للصحافيين بان ارتالا عسكرية من قوات « لبنان الحر » ـ التابعة لسعد حداد ـ قد اتجهت نحو المطار قادمة من الجنوب . وروى صحافي من التلفزيون الاسرائيلي انه ، اثناء حدوث المجزرة ، التقى في المطار بميكانيكي في الاليات المدرعة ، عضو في قوات حداد ، تابع تدريبا في اسرائيل ، وهو يتكلم العبرية . ومن مصدر موثوق اثبت كليا ان عضوا من قوات حداد قد لقي مصرعه على ايدي الاسرائيليين ، في ليل يوم الجمعة ، اثناء تحويمه حول المدينة الرياضية . وقد عثر ، في عدة مواقع من صبرا وشاتيلا ، على كلمات « سعد حداد » و « الكتائب » مسطورة على الجدران . ونحن نعرف اخيرا ان رجال ميليشيات من « لبنان الحر » قد شوهدوا في بيروت الغربية غداة المذابح ، يتحدثون مع جنود اسرائيليين .

ولكن لا شك في ان اشتراك قوات حداد في المذابح كان محدودا . ولم يتجاوز عدد المشتركين منهم بضع عشرات ، في حين انه ، في ذروة المجزرة ، كان عدد القوات الموجودة في المخيمين ٤٠٠ رجل . اما سعد حداد ذاته ، فلم يصل الى بيروت الا صباح الجمعة في الساعة التاسعة ، وقد احضره، كما قال ، الاسرائيليون بطائرة هليوكوبتر ، ليقدم تعازيه الى آل الجميل في بكفيا . وحسب قوله ، انه غادر العاصمة في فترة بعد الظهر .

وفي ما يخص ساعة دخول الشطر الاعظم من المهاجمين الى المخيمين ، فان الروايات متطابقة الى حد كاف . في الساعة ١٧ و ١٥ دقيقة ، كما يؤكد الجنود الاسرائيليون الحاضرون في ذلك الوقت ، وحسب قول بعض سكان المخيمين ، بدأت عمليات الاغتيال الاولى في الساعة ١٧ ، بل قبل ذلك بقليل في بعض مواقع شاتيلا . اما ارييل شارون فقد قال في اول تصريح له في الكنيست ان « القوات قد دخلت في الليل » ، والجميع متفقون على القول ان القوات الكتائبية قد دخلت على محورين . من الجنوب ، في الشارع الرئيسي المؤدي الى المخيمين ، ومن الجنوب الغربي ، قادمة من التلة القائمة قرب السفارة الكويتية ، وكان على رأس القوة : الياس حبيقة .

وبدأت المذبحة على الفور ، وقد استمرت ، دون انقطاع اربعين ساعة . وكان في استطاعة الاسرائيليين ان يراقبوا العمليات من سطح « الطبقة السابعة » لثلاث عمارات من الضباط اللبنانيين ، احتلها الاسرائيليون منذ الثالث من تشرين الثاني . وكانوا مجهزين بمناظير تتيح الرؤية في الليل . وفي الواقع ، لم يكونوا بحاجة حقا الى تلك المناظير ، فقد كانوا على بعد ٢٠٠ متر فقط من المكان الرئيسي للمذبحة . وطوال هذين اليومين ، عجت البناية بالضباط الاسرائيليين ، وقد لوحظ ذهاب ومجيء لسيارات ارسال ، ودبابات مجنزرة ، ووحدات متعددة حول تلك الاماكن ، وحسب تعبير ضابط اسرائيلي ، فقد كان يمكن الرؤية ، من سطح تلك العمارات ، كما « يرى المرء وهو جالس في الصف الامامي من المسرح » ،

ان المواقع الاسرائيلية الاكثر تقدما ، وهي لوحدات المظليين ، كانت قريبة جدا من حدود المخيمين ، ودبابات « ماركيف » تسيطر على تلك الاماكن . وعند مفترق السفارة الكويتية ، يوجد ايضا الفوج « ٥٠١ » للجيش اللبناني .

ومنذ البدء ، اتخذت المجزرة نسبا كبيرة حسب قول الناجين منها . وخلال هذه الساعات الاولى ، قتل رجال الميليشيات الكتائبية مئات من الاشخاص ، وكانوا يطلقون النار على كل ما يتحرك في الازقة . وكانوا يحطمون الابواب، ويقومون بتصفية عائلات باسرها اثناء تناولها طعام العشاء ، وبعض اللاجئين جرى قتلهم وهم في الاسرة ، بالبيجامات . وفي العديد من الشقق ، تم العثور على اطفال في سنتهم الثالثة او الرابعة ، وهم بالبيجامات ايضا ، وكانوا ملفوفين بأغطية مدماة . لكن في كثير من الاحيان لم يكن القتلة يكتفون بالقتل . وفي حالات عديدة ، كان المهاجمون يقطعون اعضاء ضحاياهم قبل الاجهاز عليهم . وكانوا يسحقون رؤوس الاولاد والاطفال على الجدران . وجرى اغتصاب النساء ، بل والفتيات ، قبل اغتيالهن ، بضربات الفؤوس ، واحيانا ، كان يسحب الرجال من المنازل ، في جماعات ، لكي يقتلوا في الشارع . وبالفأس والسكين ، نشر رجال الميليشيات الرعب، قاتلين دون تمييز الرجال والنساء والاطفال والشيوخ. واحيانا كانوا يتركون على قيد الحياة فردا واحدا من العائلة ، قاتلين جميع افرادها امامه ، لكي يستطيع ان يتكلم اثر ذلك ، ويروي الفظائع التي شهدها . كذلك لم يفرقوا بين مسيحيين ومسلمين ، ولبنانيين وفلسطينيين .

ان جميع الذين يعيشون في مخيمات اللاجئين قضي عليهم بنفس المصير . وقد روت فتاة شيعية ان ذويها قد ارتموا عند اقدام سفاحيهم ، متوسلين لتوفيرهم مقسمين بانهم لبنانيون . واكتفى السفاحون بالقول « لقد عشتم مع هؤلاء القذرين الفلسطينيين ، وسيكون مصيركم مثل مصيرهم » . وبعد ذلك قتلوا جميع اعضاء العائلة ، باستثناء واحد هو الشاهد على المذبحة .

وقد احصى بين المفقودين تسع نساء يهوديات ، تزوجن

من فلسطينيين ايام الانتداب البريطاني على فلسطين ، وتبعن ازواجهن الى لبنان اثناء نزوح عام ١٩٤٨ . وقد نشرت الصحف الاسرائيلية اسماء أربع منهن . وفي حي حرج تابت ، في مخيم شاتيلا ، تم اغتيال جميع افراد عائلة مقداد منذ بدء المذابح ، وهذه العائلة اللبنانية ، ومنشأها كسروان ، تملك مرآبا (كاراج) في شاتيلا منذ اكثر من ثلاثين عاما . وقد قتل ٣٩ فردا من اعضائها ، دون استثناء من رجال ونساء واطفال ، بعضهم قطعت اعناقهم ، واخرون بقرت بطونهم .

وكانت بينهم امراة شابة في التاسعة والعشرين من عمرها ، تدعى زينب ، كانت حاملا في شهرها الثامن . وقد فتح بطنها ، ووضع الجنين على ذراع امه الميتة . وقد قتل اولادها السبعة الاخرون ، وقد قتلت أيضا قريبتها ، وفاء حمود ، ٢٦ عاما ، والحامل في شهرها السابع ، مع اولادها الاربعة ، وفي هذا الحي بالذات ، جرى اغتصاب عدة نساء قبل قتلهن . وعرين اثر ذلك من ملابسهن ، ووضعت اجسادهن بشكل صليب . وكانت احدى البنات اللواتي جرى ذبحهن ، من عائلة مقداد ، وهي في السابعة من عمرها .

وروى ميلاد فاروق ، ١١ عاما ، الذي جرح في ذراعه وساقه ، بعد ان اخذ الى مستشفى غزة ، ان امه واخاه الفتى قد قتلا ، وهما يتفرجان على التلفزيون ، ودخل رجال الميليشيات الى منزلهم ، ودون التلفظ بأي كلمة ، اطلقوا النار على الجميع . ثم ذهبوا دون ان يقولوا كلمة واحدة .

وتحلى البعض بسرعة البداهة ، وفروا في أسرع وقت ، وذلك منذ ان سمعوا قعقعة السلاح ، واصوات الطلقات النارية وصيحات الضحايا الاوائل . وهذه مثلا حالة السيدة هاشم . وهي قد سمعت اصواتا مخيفة قادمة من الجنوب ، فخرجت حينئذ مع زوجها واولادها من كوخهم في مخيم شاتيلا ، وركضوا لاجئين في مكان ابعد الى الشمال . وهي لم تعلم بعد بأن الامر يتعلق بمذبحة مخططة . ولذلك ، فهي بعد ان وجدت ملجأ ، طلبت الى زوجها ان يعود الى منزلهما لاخذ قليل من الطعام من البراد وبصورة خاصة الحليب للاولاد . ولم تره ابدا حيا بعد ذلك . وقد عثر يوم السبت على جثته ، مزروعة

بالرصاص ، في منزله .

ولم يكتف رجال الميليشيات بالتعذيب والقتل ، بل كانوا يقومون بالنهب ايضا . لقد عثر على ايدي نساء مقطعة على مستوى المعاصم للتمكن من الاستيلاء على حليهن .

ونقل صحافي اسرائيلي شهادة أحد سكان شاتيلا قال : « دخل الكتائبيون ليلة الخميس الى شقة أخي . وقد طلبوا منه ان يعطيهم كل ما لديه من مال ، واحضر لهم حينئذ ٤٠ الف ليرة لبنانية وكيلوغرامين من الذهب . لكن هذا لم يكفهم ، وطلبوا منه ان يوقع لهم على شيك بـ ٥٠٠ الف ليرة (حوالي ٧٥٠ الف فرنك فرنسي) . وفعل اخي ما طلبوا وحين وقع الشيك ، قالوا له : « الان كما ترى ، لم تعد تساوي شيئا » وقتلوه ، هو ووالده واخوين اخرين ، وتمكنت زوجته وابنتاها وحدهن من الفرار من الشقة وبقين على قيد الحياة .

ان بنتا فلسطينية في الثالثة عشرة من عمرها ، وهي الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة من عائلة (لقد جرى اغتيال ابيها وامها ، وجدها ، وجميع اخوتها واخواتها) روت قائلة في حضور ضابط لبناني : « لقد بقينا في ملجأ ، حتى ساعة متأخرة جدا من ليل الخميس . ثم قررت ان أخرج من الملجأ مع صديقة لي ، اذ لم يعد بالامكان التنفس في الملجأ ، وفجأة رأينا رجال الكتائب . وعدنا ركضا الى الملجأ ونبهنا الاخرين . وخرج اشخاص ، رافعين منديلا ابيض ، وتقدموا نحو رجال الميليشيات قائلين : « نحن نؤيد السلام » . وسرعان ما جرى قتلهم . كانت النساء يصرخن ويتوسلن وانا ركضت للاختباء في غرفة حمام منزلنا ، وقد تم قتل جميع الاخرين . وبعد ذلك رأيت انه يجري أخذ اشخاص من قرب منزلنا ، وقتلهم بالرصاص . وأردت النظر من النافذة ، لكن رجلا من الميليشيا رآني واطلق علي النار . فعدت الى الحمام ، وبقيت فيه خمس ساعات . وحين خرجت ، التقطوني والقوني مع الاخرين . وسألوني اذا كنت فلسطينية ، فأجبت نعم ، فقالوا :

ــ اذن تريدين غزو لبنان ؟

ــ أجبت : « كلا نحن على استعداد للرحيل من هنا » .

وقربي كان ابن اخي ، وهو رضيع عمره تسعة شهور ،

كان يصيح بدون توقف ، وقد اثار ذلك احد الجنود ، الذي قال بعد لحظة : « ان صيحات هذا الولد تزعجني » ثم اطلق عليه رصاصة اصابته في كتفه . واخذت ابكي ، وقلت للجندي ان هذا هو الولد الوحيد الذي بقي من عائلتي . لكن هذا قد اثار الجندي اكثر ، فأخذ الطفل ، وقطعه الى قسمين . وفي هذه اللحظة وصل عمي فيصل ، وهو محدود القوى العقلية ، وكانوا يريدون قتله هو ايضا ، لكنني توسلت اليهم لابقائه حيا . وبقينا طول الليل خارجا ، تحت الصواريخ المضيئة التي كانت تطلق فوق المخيم . وعند الصباح الباكر ، اخذوا عمي لكي يساعدهم في نقل الجثث . وحين تعرف الى جثة والدته ، انهار باكيا . ثم اخذونا الى الملعب وامروني بالبقاء هناك . وقد هربت من الملعب انا وصديقة لي . واليوم انا اعيش مع خالتي . ولم يعد لدي ما افعله في شاتيلا . ولم اعد استطيع متابعة دراستي . ولا استطيع العمل لانه لا استطيع الحصول على بطاقة للعمل . وسأذهب الى حيث ستذهب خالتي . ولست أدري ماذا افعل ، ولا أعلم ماذا سيحدث لي .

وفي مساء الخميس ، قام سكان شاتيلا بمبادرتين منفصلتين لمحاولة وقف المجزرة . واتجه اربعة رجال في شكل وفد نحو المركز الاسرائيلي قرب السفارة الكويتية ، للايضاح بأن المخيم لا يحتوي على اسلحة ولا على مقاتلين ، وان سكانه يستسلمون . وكان اعضاء الوفد : ابو حمد اسماعيل (٥٥ عاما) وابو احمد سعيد (٦٥ عاما) وابو سويد (٦٢ عاما) وتوفيق ابو هاشمه (٦٤ عاما) . شوهدوا يتقدمون نحو المخرج الجنوبي للمخيم ، ثم اختفوا . وعثر بعد يومين على ثلاث من جثثهم ، على مقربة من السفارة الكويتية . وقام بمحاولة اخرى رجل يدعى « سيد » ، وهو يعمل في محطة بنزين قرب مستشفى عكا ، حيث لجأ العديد من الاشخاص اليه . ونظم « سيد » جماعة تضم زهاء خمسين شخصا ، اغلبهم من النساء . واتجهت الجماعة ، وعلى راسها راية بيضاء ، نحو المركز الاسرائيلي عند السفارة الكويتية ، لطلب وقف اطلاق النار . وبالضبط قبل وصول الجماعة الى الحاجز الاسرائيلي ، اوقفها رجال الميليشيات ، وقد اخذ « سيد » وولده الى مكان مجهول ،

وجرى اغتصاب ، ثم اغتيال عدة نساء على الطريق . اما الذين بقوا احياء ، واستطاعوا الاختباء ، لم يظهروا الا في اليوم التالي في مستشفى عكا ، حيث قاموا بتحذير المدنيين ، الذين لجأوا الى المستشفى ، وفروا حينئذ نحو الاحياء اللبنانية المجاورة في الشياح والغبيري .

ان الجنود الاسرائيليين المتمركزين حول المخيم قد ادركوا بسرعة انه تجري في المخيم اشياء غير اعتيادية (٤٢) ، مؤكد انهم قد جرى ابلاغهم بأن الامر يتعلق بـ « عملية تنظيف للارهابيين » ، وفي اللغة الرائجة في اسرائيل ، فان مخيمات اللاجئين تسمى « مخيمات الارهابيين » . ومؤكد ان النظام الاسرائيلي يصف الفدائيين بأنهم اشخاص منحطون ، ونازيون، أو حسب التعبير الذي استخدمه مناحيم بيغن في الكنيست في ٨ حزيران ١٩٨٢ بأنهم ، اي الفلسطينيون ، « حيوانات ذوات ساقين » .

ولكن بالرغم من هذه الحملة المنهجية لنزع انسانية الخصم ، حيث لعبت الصحافة الاسرائيلية دورا ملحوظا ، فان عدة جنود اسرائيليين بدأ ينتابهم القلق حين ادركوا انه يجري داخل المخيمين شيء اخر غير القتال . وقد روى اثنان من المظليين لمراسلي صحيفة « هاآرتز » الاسرائيلية ميخائيل غارتي واوزي كيرين ، اللذين وصلا الى شاتيلا غداة المجزرة قائلين : « انه كان يمكن وقف المجزرة منذ مساء الخميس، لو اخذ في الحسبان ما قلناه لضباطنا » ، وقد ذهب جندي بسيط بمبادرة خاصة منه ليصرح لصحفيين قائلا : « منذ يوم الخميس ، عند هبوط الليل ، رأينا امام مركزنا وصول نساء فلسطينيات من مخيم شاتيلا . وقد قلن لنا بأصوات هستيرية ان الكتائبيين يجوبون الطرقات ، يقتلون الاطفال والاولاد ، ويرغمون الرجال على التجمع وينقلونهم في شاحنات كتائبية . وقد قدمت تقريرا الى ضباطنا ، لكنهم اجابوا : كل شيء على ما يرام ، ولا تخشى شيئا . وتلقيت الامر بأن اقول لهؤلاء النساء ان يعدن الى بيوتهن . لكنني استطعت ان ارى كثيرا منهن بل وعائلات بكاملها ، بالعكس ، تهرب نحو الشمال ، وعلى الفور، عدت لاقدم تقريري . وفي كل مرة كنت اتلقى الجواب نفسه

« كل شيء على ما يرام » . وقد اعترف ضابط اسرائيلي من الفرقة نفسها ، امام نفس الصحافيين مضيفا : « لقد كنا مقتنعين جميعا بانهن نسوة بسيطات انتابتهن الهستيريا » .

وهناك شهادات اخرى لجنود اسرائيليين تؤكد انه حدثت منذ مساء الخميس ، ثم خلال ليلة ، مساع من السكان الذين جاؤوا يوضحون للجنود الاسرائيليين ان مذبحة تجرى في المخيمين .

وهكذا فان فلسطينيا من صبرا ، يسكن قرب مستشفى غزة ، قد خرج من المخيم في بداية الليل وذهب ليتحدث ، في اول مركز التقاه الى الغرب ، الى ضابط اسرائيلي يتكلم اللغة العربية ، واسمه رامي : « لقد اوضحت له انني التقيت بامرأة جريحة في ذراعها ، قالت لي ان رجال سعد حداد يقتلون الجميع .

وسألني الضابط ما اذا كنا مسلحين ، فأجبت ان بعض الرجال مسلحون ، لكنهم ليس لديهم سوى اسلحة لدفاعهم الفردي . وطلب الي الضابط الاسرائيلي ان ابلغ جميع السكان انه ينبغي جمع هذه الاسلحة وتسليمها قبل الساعة الخامسة. أما المجزرة ، فلا تهمه » .

وقد قال شبان من المخيم اجريت معهم مقابلات صحفية بانهم سلموا اسلحتهم لاحزاب اليسار اللبناني بعد انسحاب الفدائيين . وبعد غزو بيروت الغربية ذهبوا للمطالبة بأسلحتهم

لكن اليساريين رفضوا اعطاءهم اياها بحجة انه لا يوجد أمر من القيادة بذلك (٢) .

وقد روى ممرض من وحدة طبية اسرائيلية ان جرحى قد وصلوا الى مركزه للتمريض ، وكان بينهم طفل عمره تسعة اشهر اصيب برصاصة في ظهره . وقدر للطفل ان مات بعد بضع ساعات . ويؤكد الممرض ان الذي احضر الطفل هو الناجي الوحيد من عائلته . ورأى كتائبي ، اثر ذلك ، الطفل الميت وصاح : « اتريدون ان تتخلصوا من هذه الرزمة ؟ سوف القيه في النفايات » وقد فهم الممرض حينئذ ان مذبحة حقيقية كانت تجري ، وأكد بأنه اخطر رؤساءه بذلك .

وخلال الليل ، اقترب عضو في الميليشيا من اقرب حاجز اسرائيلي وطلب حمالة . وثبت ، في الواقع ، ان الكتائبيين اصطدموا في احد الامكنة بمقاومة مسلحة ، وان اثنين من رجالهم قد قتلا ، وسقط عدة جرحى اخرون .

واجاب عضو الميليشيا على الجندي الاسرائيلي الذي استعلم عما يجري في المخيم قائلا ، اي عضو الميليشيا : « لقد قتلنا حتى الان ٢٥٠ ارهابيا » .

ان الجندي الاسرائيلي ، لدى روايته فيما بعد هذه الحادثة للصحافيين ، قد قال ان الاسرائيليين ، فيما بينهم ، قد ابتسموا ، وعلق احدهم قائلا : « هؤلاء يبالغون كثيرا .. فكيف استطاعوا قتل ٢٥٠ ارهابيا في حين لم نسمع دوي المعارك ؟ » ثم قال : « وبعد رحيل الكتائبي ، توقفنا عن الابتسام وبدانا نفهم بأن مذبحة تجري في الواقع » .

وفي مساء الخميس ، بدأت الانباء والمعلومات المتعلقة بالمذابح تصل الى مقر القيادة العامة الاسرائيلية ، وكانت واردة من المراكز العسكرية القريبة من مخيم شاتيلا . وهي تروي ان هناك قتلى في المخيمين « بين الارهابيين والمدنيين » ، دون اي ايضاح اخر . وفي الساعة ٢٣ ، ارسل قائد « القوات الكتائبية » الداخلة الى شاتيلا تقريرا الى الجنرال الاسرائيلي قائد مدينة بيروت ، محررا بهذه العبارات : « حتى الان ، قتل ٣٠٠ من المدنيين والارهابيين » ، وقد ارسل هذا التقرير فورا الى هيئة الاركان الاسرائيلية ، واصبح بين ايدي اكثر من عشرين ضابطا كبيرا في تل ابيب . وعادة يجري نقل هذا النوع من التقارير الى مكتب وزير الدفاع . وقد كشف عن وجوده المراسل العسكري لصحيفة « جيروزاليم بوست » هيرش غودمان ، الذي اكد انه تحقق من صحته ، ومع ذلك ، فقد استمرت المجازر حتى صباح السبت .

لقد قطعت الكهرباء طوال الليل في بيروت الغربية . ومنذ ان ساد الظلام كليا ، اخذ الاسرائيليون يطلقون صواريخ مضيئة من جميع النواحي فوق المخيمين . وحسب قول جندي اسرائيلي ، فان وحدته قد اطلقت صواريخ من عيار ٨١ ملم بمعدل صاروخين كل دقيقة لمدة بضع ساعات . واستخدم

الاسرائيليون طيرانهم الذي اطلق ، هو أيضا صواريخ لانارة المخيمين . وذكرت ممرضة هولندية في الثلاثين من عمرها ، وهي تينيكه أولوف ، انها حتى اثناء حصار بيروت الذي عاشته ، لا تذكر انها رأت المخيمين مضاءين بهذه القوة . ان مراسلين صحافيين لدى ملاحظتهم الاضاءة الدائمة للمخيمين طوال الليل ، قد طلبوا ايضاحات من الناطق العسكري الاسرائيلي في بيروت الغربية ، لكن هذا لزم الصمت .

وفي مستشفى غزة وعكا ، بدأ يتدفق الجرحى ، وراحوا يروون وقائع بعضها افظع من بعض . وقد عولج ٨٢ شخصا في تلك الليلة في مستشفى غزة ، واغلبهم كان قادما من مخيم شاتيلا ، المسرح الرئيسي للمذبحة . وكان كثيرون منهم جرحوا بالرصاص ، لكن البعض اصابتهم شظايا القذائف التي اطلقها الاسرائيليون خلال فترة بعد الظهر . وكانت العائلات هي بذاتها التي تنقل الجرحى ، بوسائلها الخاصة . ولم تكن اية سيارة اسعاف تجرؤ على السير في الطرق ، وفي نفس الوقت ، كانت مجموعة من الاشخاص ، أغلبهم من النساء والاولاد ، تتجمع في حرم المستشفيين وحولهما ، معتقدين ان ذلك المكان يقدم لهم حماية افضل . وطوال ليلة الخميس — الجمعة ، لجأ ما بين الف والفي شخص ، حسب التقديرات ، الى المستشفيات ، في ذعر لا يوصف .

في بداية المساء ، كان اريل شارون يتحدث مع المبعوث الاميركي موريس درايبر ، الذي جاء يطلب اليه ، باسم حكومته الانسحاب من بيروت ، ورفض شارون ، واعاد التأكيد بان على اسرائيل البقاء في الساحة « لكي تنقذ الوضع في بيروت الغربية » .

ورد درايبر بأن الجيش اللبناني يستطيع تماما القيام بذلك . وأصبح واضحا من ذلك الحين فصاعدا ان الاميركيين اتخذوا لهجة أكثر حزما ازاء اسرائيل .

وفي القدس ، اجتمعت الحكومة الاسرائيلية ، في الساعة ١٩ و ٣٠ دقيقة ، في جلسة استثنائية ، طوال أربع ساعات ، ولاول مرة ، استمع الوزراء الى تقرير حول دخول الجيش

الاسرائيلي الى بيروت ، بعد ٣٨ ساعة من بدء العملية . وكان العديد من الوزراء الاسرائيليين قد عبروا عن شكوك حول فائدة العملية (أي دخول الجيش الاسرائيلي الى العاصمة اللبنانية) وعبروا بصخب عن استيائهممن الطريقة التي اتخذ بها القرار ، دون استشارة مسبقة للحكومة . وفي النهاية ، تمت الموافقة على قرار يؤكد صحة العملية ، ويقول البيان : « أثر اغتيال بشير الجميل ، تمركز الجيش الاسرائيلي في بيروت الغربية للحيلولة دون مجازفات العنف واهراق الدماء والفوضى » ، وفي هذه اللحظة ، لم يكن اي وزير ، ولا حتى رئيس الحكومة ، يعلم أن العنف وسفك الدماء والفوضى تسود في بيروت الغربية . ان رئيس الاركان، رفائيل ايتان ، وجنرالات آخرين كانوا مشتركين في الاجتماع ، قد قدموا تقارير تتعلق بالوضع على الارض في بيروت الغربية . وقد تحدث ايتان عن « مجابهات محدودة » مع بعض الميليشيات الاسلامية (٣) ؛ وهي المرابطون ، وما بقي من منظمة التحرير الفلسطينية ، كما تحدث ايتان عن الاتصالات التي جرت في اتجاه الجيش اللبناني . وبصورة عابرة ، وبشكل وجيز ، اشار ايتان الى ان قوات كتائبية قد دخلت الى مخيمات اللاجئين « لاجل تنظيف أعشاش الارهابيين » . واضاف بأن الاتصالمع الكتائب مستمر وان أعمالهم منسقة كليا مع اعمال جيش الدفاع الاسرائيلي .

وقد قال الوزراء فيما بعد انهم كانوا في تلك اللحظة مقتنعين بأن كل شيء مرتب ومنظم ، وأن أشتراك القوات المسيحية في المهمات المحددة من قبل الجيش الاسرائيلي هو مراقب تماما . ولم يجر طرح اي سؤال ، ولم يعقب اي نقاش لتقرير الجنرال ايتان . وهذا الاخير ، لكي يبرر العملية في بيروت الغربية ، تحدث مع ذلك عن رغبة الثأر المستفحلة عند المسيحيين . والذين اطلعوا على التقرير عن الاجتماع الحكومي يؤكدون انه جرى تقديم دور الكتائبيين ببساطة خادعة . ووزير الاسكان وحده ، دافيد ليفي ، هو الذي تحدث عن خطر رؤية الكتائبيين يقومون بمذبحة ضد الفلسطينيين .

ومن اصل اربع ساعات من الاجتماع ــ في حين كانت

المجزرة قد بدأت ـ فان مسألة دخول « القوات اللبنانية » الى المخيمين قد ذكرت خلال أقل من خمس دقائق . ودار الشطر الاساسي من المناقشات حول الطلب الاميركي المشدد لانسحاب اسرائيلي من بيروت . وقررت الحكومة الاسرائيلية : « انها ستعطي الامر بالانسحاب من مواقعها حين سيكون الجيش اللبناني قادرا على السيطرة على هذه المواقع ، في تنسيق مع الجيش الاسرائيلي ، وعلى تأمين النظام العام والأمن » .

ومعنى البيان واضح للجميع : ان الجيش الاسرائيلي يعتزم أن يبقى أيضا زمنا طويلاً في بيروت الغربية ، نظرا لبطء تحرك الجيش اللبناني . وقد تم ما يرضي الجيش الاسرائيلي ، فقد احرز من الحكومة الاسرائيلية المهلات التي كان يتمناها لبلوغ اهدافه في بيروت .

وفي نشرة أنباء نصف الليل ، بعد ساعة من انتهاء الاجتماع الحكومي ، أعلن المراسل العسكري الاسرائيلي في بيروت ، من اذاعة الجيش الاسرائيلي ، ان « الجيش قرر أن يعهد الى الكتائب بمهمات تنظيف صبراً وشاتيلا » . وقد أعيدت اذاعة هذا النبأ يوم الجمعة في الساعتين الواحدة والثانية . وبعد ذلك لم يسمع أي حديث عن ذلك .

وأثناء النقاش في الكنيست ، في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ، استخدم الجنرال شارون حجة ، لدى الاسرائيليين احساس كبير بها ، حين قال : « نحن لم نرسل قوات الجيش الاسرائيلي الى المخيمات لاننا نريد أن نصون الارواح البشرية (أرواح الجنود الاسرائيليين) ، اننا لم نرسل جنودنا نظرا لان اخرين يستطيعون تحقيق هذه العملية . . . » .

وطوال الليل ، في مخيمات اللاجئين ، استمرت المذبحة .

- ٤ -

الجمعَة ١٧ أيـلول

يَوم الجمَعَة الأسوَد

في الصباح الباكر ، كان ضباط وجنود اسرائيليـــون يراقبون بالمناظير ما يحدث في مخيم شاتيلا ، وقد راوا اكداس الجثث ، والرجال الذين يجري قتلهم بالرصاص بسرعة . ان جنودا من وحدة مدرعة ، وهي التي كان يقودها قبل استقالته العقيد ايلي جيفا ، وهم متمركزون على بعد مئة متر من المخيم ، رووا انهم استطاعوا ان يروا بوضوح كبير قتـــل اعضـــاء الميليشيات لمدنيين ، صباح يوم الجمعة . وقد وصل تقريرهم الى السلطات العليا ، التي اطلعت ايضا على تقارير اخـرى مماثلة ، من جنود وضباط متمركزين في نقاط مختلفـــة قرب المخيمين . وقد اكد جنود اسرائيليون ، بالاضافة الى ذلــك ، انهم سمعوا صرخات اللاجئين الذين كان يجري قتلهم ، والذين كانوا يحاولون انقاذ حياتهم . واخيرا ، فان الاسرائيليين قــد اطلعوا على ما يجري من قبل الكتائبيين انفسهم ، الذين كانوا ، بين حين واخر ، يخرجون من المخيم ، ويأتون للتمون بالغذاء والماء الطازج من المخيم والحواجز التـــي اقامهـــا الجيش الاسرائيلي على مشارف شاتيلا . وكان الكتائبيـــون يروون للجنود الاسرائيليين مجرى « المعارك » دون ان يخفوا « وجود مدنيين ايضا بين القتلى » .

ان الملازم آفي غرابوسكي ، وهو نائب قائـد سريـــة للدبابات ، قد قال أمام لجنة التحقيق « لقـــد رايت كتائبيـــين يقتلون مدنيين (...) وقد قال لي أحد الكتائبيين ان من النساء الحوامل سوف يولد ارهابيون » . وقد ابلغ الملازم غرابوسكي ذلك الى رؤسائه . وقد تلقى الجنود الاسرائيليون الامر بعدم التدخل في ما يحدث في المخيمين ، وبعدم الدخول اليهما .

وسمع رقيب مظلي ضابطه يعلن على جهاز الارسال في الساعة الحادية عشرة : « ان هذا لا يروق لنا ، لكنني امنعكم جميعا من التدخل في ما يحدث في المخيمين » .

ومع ذلك ، فان عقيدا من المظليين ملقبا بـ « يايا » قرر ان يذهب ليرى ماذا يحدث حقا في الساحة ، لكي يتحقق من البيانات التي قدمها له بعض اللاجئين الذين نجحوا في الفرار ووصلوا الى وسط بيروت الغربية . ودخل مع بعض رجاله حوالـــي الساعة التاسعة الى مخيم صبرا ، ومر من المدينة الرياضية ،

واقترب من مستشفى غزة ، ولم يلاحظ شيئا خاصا ، وعاد الى موقعه . وهذا المكان بالضبط ، كان في اليوم التالي ، يوم السبت ، مسرحا لمذبحة جديدة . وقد التقى اللاجئون الذين كانوا يفرون نحو الشمال ، في طريقهم ، بقائد للمظليين . وقرب هو ايضا الاقتراب حتى مشارف صبرا ، ولم يلاحظ شيئا ، والسبب واضح : ففي تلك اللحظة ، كانت المجزرة مستمرة في شاتيلا . ان الجنود الاسرائيليين الذين يحاصرون هذا المخيم كانوا يسمعون بلا انقطاع رشات الاسلحة الاوتوماتيكية ، التي لا تشبه في شيء صخب المعارك ، كما كانوا يسمعون صيحات الجرحى . وفيما بعد ، عند هبوط الليل ، اطلقت وحدات اسرائيلية من جديد صواريخ مضيئة ، لانارة داخل المخيم بصورة افضل وتسهيل مهمة المهاجمين الكتائبيين .

كانت مداخل المخيم مسدودة ، وقد أمر الجنود الاسرائيليون مرارا عديدة اللاجئين الذين يحاولون الخروج ، امروهم بالعودة الى منازلهم ، وابرز حالة في هذا الصدد هي حالة جماعة مؤلفة من ٥٠٠ شخص ، كانوا قد لجأوا الى حرم مستشفى غزة في صبرا ، وفروا في فترة بعد الظهر حين علموا ان رجال الميليشيا يدخلون المستشفيات ، ويقتلون ويجرحون ويغتصبون من يرونهم في طريقهم ، ووصل المساكين ، تتقدمهم الرايات البيض ، الى كورنيش المزرعة ، على محور الشارع الذي يجتاز العاصمة من الشرق الى الغرب . وحينئذ اوقفهم جنود اسرائيليون ، واوضح لهم الناطق باسم اللاجئين ان رجال سعد حداد يغتالون الجميع . ومع ذلك تلقى اللاجئون الامر بالعودة الى المخيم ، وامام ترددهم ، سددت دبابة اسرائيلية مدفعها نحوهم وارغمتهم على العودة .

وفي صباح يوم الجمعة ذاك ، دخلت قوات مسيحية جديدة الى شاتيلا ، من المدخلين الجنوبي والغربي . وكانت مجهزة بسيارات جيب ، وشاحنات ، وجرافات . وفي بيروت ، أخذت الاشاعات الاولى الخاصة بمذابح في صبرا وشاتيلا تنتشر بعد انسحاب اطباء وممرضون اجانب كانوا يعملون في مستشفى عكا ، والذين قادهم رجال مسلحون ينتسبون الى الكتائب الى باب مخيم شاتيلا ، حيث وجدوا القائم بالاعمال النروجي الذي

قادهم بدوره الى مقر الصليب الاحمر الدولي في الحمراء . ونبه هؤلاء الاطباء والممرضون الصحافة والديبلوماسيين الاجانب الى ان شيئا خطيرا يحدث في المخيمين .

ومن جهة اخرى ، فان الصحافة المحلية (اللبنانية) قد تحدثت في اليوم التالي مرددة تلك المعلومات الاولى . وكتبت صحيفة « السفير » في الصفحة ٦ ، على اخر عمود ، بالاستناد الى تقارير قوى الامن اللبنانية « ان رجال من ميليشيات سعد حداد قد دخلوا الى مخيمي صبرا وشاتيلا ، وهم يعتدون على الفلسطينيين . وفي صحيفة « النهار » في صفحة داخلية ، استطعنا ان نقرأ : « ان وحدة من القوات اللبنانية قد توقفت قرب مستشفى عكا ، وجمعت السكان ، وفصلت الرجال عن النساء ، ثم اطلقت الرصاص على الرجال ، وقد سقط خمسة قتلى ، وعدة جرحى » .

ان موشى هيبروني ، عضو مكتب رؤساء الاستخبارات، قد تلقى ، في الساعة الخامسة و ٣٠ دقيقة ، التقرير الخاص بالثلاثماية قتيل في المخيمين ، ونقله ، في الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة الى احد سكرتيريي وزير الدفاع ، آفي دوداي .

وتلقى صحافيون ، هم ايضا ، أنباء مقلقة من صبرا وشاتيلا . ان زيف شيف ، المراسل العسكري لصحيفة « هاآرتس » ، قد تدخل لدى عدة شخصيات ، ومنها وزير المواصلات ، مردخاي زيبوري ، واطلعهم على ما علم . واتصل زيبوري بوزير الخارجية ، اسحاق شامير ، وابلغه المعلومات التي وصلته والقائلة بأن « مجزرة تجري في مخيمات اللاجئين في بيروت الغربية » ، واضاف زيبوري ، الذي ساءت علاقاته مؤخرا مع ارييل شارون ، قائلا : « عليك ان تتحدث في ذلك الى وزير الدفاع للتحقق مما يحدث » . وطلب شامير عندئذ من موظفي وزارته القيام بتحقيق ، لكن هؤلاء لم يحصلوا على اي تأكيد لمعلومات زيبوري .

لقد قال وزير الدفاع ارييل شارون في بيانه امام الكنيست في ٢٢ ايلول : « منذ ان حصلت لدينا شكوك اولى حول ما يحدث في هذين المخيمين ، فان القائد الاعلى للجبهة الشمالية (الجنرال دروري) اتخذ فورا التدابير لوقف اعمال الكتائبيين

في شاتيلا ، بواسطة ضابط الارتباط الكتائبي الموجود في المقر العام لاحد الويتنا (...) ووضع الجيش الاسرائيلي حدا لنشاط الكتائب منذ الساعة الثانية عشرة يوم الجمعة ، وقد اخرجنا الكتائبيين نهائيا من صبرا وشاتيلا يوم السبت حوالي الظهر » . (١)

وفي الواقع ، فان المجزرة استمرت طوال النهار وطوال الليل حتى صباح السبت ، بل ان قوات كتائبية قد دخلت بقوة، خلال ذلك الحين ، الى المخيمين .

والواقع ان المذبحة قد توقفت صباح يوم السبت الساعة العاشرة . وكتب المراسل العسكري لصحيفة « يديعوت احرونوت » ، ايتان هابر ، قائلا : « لقد استمرت المذبحة ، ربما لان مصلحة بعضهم كانت في ان تستمر » .

وفي اثناء ذلك ، في بيروت ، اتصل الجنرال اموس يارون من مقره العام الواقع فوق المخيمين ، بقائد الجبهة الشمالية ، الجنرال امير دروري . وكان هذا في مقره العام ، في المرفأ . وابلغه يارون ان الاقوال الخاصة بـ « الاعمال غير الطبيعية » للكتائبيين في المخيمات تزداد الحاحا . و في الساعة الحادية عشرة ، ذهب دروري الى المقر العام ليارون ، وطلب الجنرالان من ضابط الارتباط الكتائبي « جيسي » بأن يقدم لهما تفاصيل ما يحدث في المخيمين . فأجابهما هذا : « ان بعض قادتنا قد فقدوا السيطرة على رجالهم » .

وطلب قائد الجبهة الشمالية حينئذ ان يكف الكتائبيون فورا عن اطلاق النار . وهو لم يصدر لهم الامر بالخروج من المخيمين ، ولم يقم بالتحقق مما اذا كان اطلاق النار قد توقف فعلا . ومن جهة اخرى ، فهو لم يرسل جنودا اسرائيليين الى داخل المخيمين ، لتقدير ما يحدث فيهما .

وقبيل الظهر ، اتصل الجنرال دروري برفائيل ايتان ، في تل ابيب . واعلن له ان شيئا ما « مشبوها » يجري في المخيمين ، وانه امر بوضع حد لذلك . وفهم « رفول » بأن المسألة خطيرة ، واجابه بأنه قادم فورا الى بيروت . وفي الساعة ١٥ و ٣٠ دقيقة ، هبط رئيس الاركان الاسرائيلي في مطار بيروت . وعقد في الساحة اجتماعا لضباطه الذين قدموا

له تقريرهم . وفي الساعة ١٦ و ٣٠ دقيقة ، التقى برفقة الجنرال دروري في هيئة اركان الكتائب ، في حي الكرنتينا ، قرب المرفأ ، بالضباط الكتائبيين ، الذين كان بعضهم عائدا من المخيمين . وقد اشترك في الاجتماع ايضا فادي افرام ، « القائد الاعلى » للقوات اللبنانية .

وحسب قول الجنرال يارون ، فان الجنرال ايتان هنأ الكتائبيين على عمليتهم ، واوضح الكتائبيون انهم « ينظفون الارض » . وكشف عن ان الاميركيين قد طلبوا اليهم ، اي « الكتائبيون » ، ان يوقفوا العمليات في المخيمين ، وقد رجوا الاسرائيليين بأن يمنحوهم « قليلا من الوقت ايضا لتنظيف الاماكن » . واتفق الجانبان ، كما بين ارييل شارون اثناء بيانه الذائع الصيت أمام الكنيست ، على « مغادرة جميع الكتائبيين مخيمي اللاجئين صباح السبت في ١٨ ايلول » . وكذلك فقد اتفقا على « ان لا تدخل اية قوة اضافية الى المخيمين » وهكذا كانت أمام الكتائبيين ساعات طويلة لمواصلة « عملية التنظيف » وادخلوا من جديد قوات اخرى الى صبرا وشاتيلا .

ان الوحدة التي يقودها الياس حبيقة ، ورجال سعد حداد ، والقوات التي وصلت حديثا ، تابعت مذبحتها . وروى اللاجئون الذين سيطر عليهم الرعب ، والذين تمكنوا من الفرار، انهم شهدوا اعمالا بربرية . لقد كان اعضاء الميليشيات ، في جماعات تتألف كل واحدة منها من خمسة او ستة رجال ، واحيانا اكثر ينظمون في الطرقات مطاردة غير منقطعة للاشخاص . ويروي الشهود عمليات القتل ، ويتكلمون عن العائلات التي اخرجت من مخابئها وقتلت في الشارع . وكذلك يروون عمليات التعذيب ، وعن النساء اللواتي جرى اغتصابهن ثلاث او أربع أو خمس مرات ، ثم تقطع نهودهن ، قبل قتلهن . وفي حين كان رجال الميليشيات قد استخدموا في الامس السكاكين والفؤوس ، فقد كانت وسائلهم ، يوم الجمعة اكثر سرعة : لقد اخذوا يطلقون الرصاص على ضحاياهم عن قرب .

وبين حين واخر ، كان رجال يرتدون الزي العسكري الكتائبي يتحققون من اكداس الجثث . فاذا كان احد ما زال

يتحرك ، كانوا يجهزون عليه في مكانه . واثر ذلك ، كثيرا ما كانوا يرسمون بالسكين شارة الصليب على جسد ضحيتهم . وروى ولد في الثالثة عشرة من عمره لجنود اسرائيليين ان قامته الصغيرة قد انقذته ، حين اعدم رجال الميليشيات رميا بالرصاص ، قرب جدار ، جماعة من الاشخاص الذي كان ذلك الولد في عدادهم . وقال احد الجنود الاسرائيليين ان هذه الشهادة تذكره بطفولته ، حين علم كيف نجا اولاد يهود ، اثناء الحرب العالمية الثانية ، من مفارز الاعدام النازية بفضل قامتهم — اي الاولاد اليهود — الصغيرة . وفي اماكن اخرى ، من المخيمين ، كان يجري ربط الناس بسيارات اعضاء الميليشيات، ثم يجري سحبهم احياء في الشوارع والطرقات . ثم كان يجري تكديس جثث هؤلاء في مرآب . وقد عثر على بعضهم وقد قطعت اعضاؤهم التناسلية .

وطوال هذا اليوم ، ذكر نبأ واحد اشتباكا حقيقيا داخل المخيمين . لقد حدث ذلك في صبرا ، حيث نصب رجال ميليشيا فلسطينيون او لبنانيون ، كمينا للمعتدين عليهم قرب سوق صبرا . ويبدو ان الكتائبيين لم يصطدموا بأية مقاومة مسلحة اخرى .

ويوم الجمعة ذاك ، وصلت ايضا الشهادات الاولى حول رحيل شاحنات ملأى باشخاص مدنيين ، نحو اماكن مجهولة . لقد قام مصور تابع للتلفزيون الدانمركي بتصوير اعضاء ميليشيات كتائبية يقومون باحصاد رجال ونساء واطفال الى شاحنات على حدود مخيم شاتيلا . وكان ذلك يحدث على بعد ٤٠٠ متر من موقع اسرائيلي .

وقال سكان بلدتي الشويفات والحدث ، جنوبي بيروت، ان ثلاث شاحنات ضخمة ، وسيارتين اصغر حجما ، مملوءة بالمدنيين ، اجتازت منطقتهم يوم الجمعة عند الظهر . ولم يعثر فيما بعد على اثر لهؤلاء الاشخاص . وكذلك فان بعض الناجين قد استطاعوا الوصول الى مكاتب الصليب الاحمر ، في بيروت ، وقالوا هم ايضا ان اعضاء من عائلاتهم قد ارسلوا في شاحنات نحو مكان مجهول ولم يعودوا .

وذكر بعض سكان شاتيلا انه قبيل الظهر ، قام اعضاء

الميليشيات بجمع زهاء ماية شخص في الشارع الرئيسي ، جنوبي المخيم ، وبعد ان فصلوا الفلسطينيين عن اللبنانيين ، بدأوا بتعذيب الاوائل ، وتم تجريح وجوههم بالسكاكين لاجل استجوابهم .

وبين الساعة الحادية عشرة والظهر ، ظهر رجال مسلحون في داخل مستشفى عكا ، جنوبي شاتيلا ، حيث اغتالوا بضعة مرضى ، واجهزوا على الجرحى في اسرتهم ، قبل ان يقتلوا عدة اعضاء من شغيلة المستشفى ، والسكان الذين لجأوا الى ذلك المستشفى . ان ممرضة فلسطينية في التاسعة عشرة من عمرها ، وتدعى انتصار اسماعيل ، جرى اغتصابها عشر مرات من قبل رجال ذوي لهجة جنوبية ظاهرة ، وهم من اعضاء قوات سعد حداد . وأن جسدها ، لفرط تشويهه والتفظيع به ، لم يمكن التعرف الى صاحبته ، لولا خاتمها الذي ساعد في تحديد هويتها . ان صحة هذا الحادث قد اكدته زميلة لبنانية للضحية . وفي داخل المستشفى ، أرغم رجال الميليشيات زهاء اربعين شخصا على الصعود في شاحنة ولم يعثر لهؤلاء المعتقلين على اثر بعد ذلك . وجرى ببرودة اعصاب قتل طبيبين اختصاصيين في تقويم الاعضاء ، وهما علي عثمان وسامي الخطيب ، ومستخدم مصري . وسعى اشخاص اخرون للجوء الى أول حاجز اسرائيلي ، يبعد ٢٠٠ متر عن المستشفى ، واطلقت عليهم قنبلة يدوية اصابتهم وقتلت ثلاثة منهم ، وجرحت شخصا رابعا . وروى جريح لبناني في المستشفى ان أحد رجال الميليشيات اقترب من سرير فتى في الرابعة عشرة من عمره . يدعى مفيد اسعد ، كان قد جرح في الامس . « وقد سحبوا الغطاء عن قدميه بماسورة رشيش وسألوه : هل انت فلسطيني ؟ فأومأ لهم براسه ان « نعم » ، ثم اشار بأصبعه بأن بطاقة هويته موجودة تحت وسادته . « أنت فلسطيني وما زلت حيا ؟ » واضافوا حينئذ قائلين « انه لشيء قاس ان يموت المرء . حسنا ، سوف ننهي عملنا وسيكون هناك فلسطيني اقل » ، ثم اجهزوا عليه .

وفيما بعد ، قام الصليب الاحمر الدولي باخراج الجرحى . واثناء النهار ، قامت جماعات من الكتائبيين باعداد حفر

مشتركة مخصصة لدفن مئات الجثث المبعثرة على تلك الارض، وقامت الجرافات بحفر قبور في جنوبي شاتيلا ، عند منتصف المسافة بين موقع اسرائيلي والمقر العام للجيش . وكان من المستحيل ان لا يلاحظ الاسرائيليون ما يحدث . وفي الساعة ١٦ ، راى القائم بالاعمال النروجي حفرة ملأى بالجثث . وكانت رائحة الجثث ، وسط الحر الذي هو شديد في بيروت ، في ذلك الوقت ، قد بدأت تملأ الجو حتى في أماكن وجود الجنود الاسرائيليين .

وخلال الظهيرة ، وحتى بدء فترة ما بعد الظهر ، كانت قوات كتائبية جديدة تتجمع قرب المطار . وقد لاحظ المراسل العسكري للتلفزيون الاسرائيلي ، رون بن ييشاي ، الذي كان موجودا مع فريقه في بيروت الشرقية ، رتلا كتائبيا ، يضم عشرة ملالات ، وسيارتي جيب مجهزتين بمدفع غير مرتد ، ويجتاز حي الحازمية في اتجاه المطار . وبعد قليل ، التقى بن بن ييشاي في حي سن الفيل ، في بيروت الشرقية ايضا ، برتل يضم سيارات مصفحة وسيارات مجنزرة ، واشار بن ييشاي الى مصوره ببدء التقاط الفيلم ، لكن القائد الاسرائيلي طلب الى الجنود مصادرة البكرة . وحينئذ اظهر رون بن ييشاي هويته ، موضحا بأنه يعمل للتلفزيون الاسرائيلي . وتخلى القائد عن مصادرة الفيلم ، واعطى الامر لرجاله بالرحيل .

وسأل الصحافي : الى اين تذهبون ؟

فأجابه القائد : « مهمة عسكرية » .

وتبعه بن ييشاي حتى المطار ، حيث اكتشف القوة الكتائبية التي كانت تنظم نفسها للذهاب نحو المخيمين . وفي الساحة ، كانت هناك ١٣ دبابة ، منها عدة دبابات من طراز «شيرمان ام ــ ٤٧ » ودبابات « ت ــ ٥٤ » ، ومدافع هاون عيار ١٢٠ ملم مركبة على سيارات مجنزرة ، وسيارات مسلحة برشاشات ثقيلة والعديد من سيارات « الفومندفار » . وشاهد أيضا بضع سيارات للاسعاف . وكانت تجهيزات الجنود موضوعة على الارض . ان الخوذات ، مثل القسم الاساسي من تجهيزات « القوات اللبنانية » ، قد قدمها الجيش الاسرائيلي وحتى البذلات العسكرية كانت متماثلة . وقد ابدلت عبارة

« الجيش الاسرائيلي » بعبارة « القوات اللبنانية » .
وحسب تقدير المراسل الاسرائيلي ، فقد كانت هذه « القوات » تمثل تقريبا فوجين صغيرين . وعديدون كانوا من الذين يحملون شارة « ام.بي » (الشرطة العسكرية) ، وهم الذين شوهدوا في اليوم التالي في صبرا وشاتيلا ، عند نهاية المذبحة . والتقط بن بيشاي فيلما للكتائبيين ، كما ان صحافيين اسرائيليين اخرين قاموا بالتقاط صور لهم ، اي للكتائبيين . وعرضت الافلام والصور في التلفزيون الاسرائيلي ، منذ بدء المذابح وبانتظار الرحيل ، كان الصحافيون الاسرائيليون يتناقشون مع الضباط والجنود الكتائبيين . ولم يكن هؤلاء يتركون اي شك يحوم حول طبيعة مهمتهم : « سوف نقتلهم » ، «سوف نفتعل بأمهاتهم واخواتهم» كما اعلن الكتائبيون . وقد لجأوا الى الاشارة ، بالاشارة بأصبع على طول العنق ، تعبيرا عن عملية الذبح .
وقال احدهم : « ان القتل والذبح هما حصتنا في المعركة» ويتذكر المراسل الاسرائيلي اليكس فيشمان انه سمع كتائبيا اخر يعلن : « قبل الذهاب الى هناك (الى المخيمين) تلزمني قطعة جيدة من الحشيشة » وكثيرون منهم كانوا يحملون معهم الخمر .
ان ضابطا اسرائيليا يخدم في المقر العام الكبير للجبهة الشمالية ، والذي كان حاضرا في ذلك المكان ، قد همس في اذن صحافي من التلفزيون الاسرائيلي : « هل سمعت ماذا يفعل الكتائبيون في المخيمات ؟ انها اشياء فظيعة ، اشياء فظيعة » .
وفي غرفة العمليات المرتجلة للكتائبيين ، كان الضباط يتفحصون الصور الجوية التي قدمها لهم الاسرائيليون ويناقشون تتمة الاحداث ، وكانوا ينتظرون نتائج مقابلة بين احد ضباطهم الكبار والضباط الاسرائيليين . ولدى عودته ، اعلن هذا الضابط انه حصل على التصريح المطلوب . وتلقى ٢٠٠ كتائبي حينئذ الامر بالتأهب للذهاب . (والباقون سيبقون في المكان حتى اليوم التالي . ثم سيختفون ، عائدين الى قواعدهم منذ اعلان انباء المذابح في العالم بأسره) . وحينئذ

قام ضابط كتائبي ملتح باعطاء رجاله اخر توجيهاته باللغة العربية . ولم يفهم الاسرائيليون ماذا قال ؟ وتحرك الفوج ، في اتجاه المخيمين .

وبالاضافة الى المعدات العسكرية ، اخذ الفوج معه جرافتين ، قدم احداهما الجيش الاسرائيلي . وذكر الشهود ان ثلاث جرافات قد ادخلت الى المخيمين .

وبعد لقائهما مع فادي افرام وقادة القوات اللبنانية ، عاد الجنرالان ايتان ودروري الى المطار في اللحظة ذاتها حين كان الكتائبيون يتأهبون للذهاب . وتحادث رئيس الاركان الاسرائيلي مع بعض الضباط الاسرائيليين ، قبل ان يصعد الى الطائرة التي كان هو يقودها . وهبط اثر ذلك في مطار « رامات ـ دافيد » في اسرائيل ، ومن هناك ذهب الى قرية « تل ـ اداشيم » ، حيث يسكن . وهناك احتفل مساء يوم الجمعة بعيد راس السنة اليهودية ، ومن منزله ، قام بعد ذلك بالاتصال هاتفيا بالوزير ارييل شارون ، في الساعة ٢١ حسب قول هذا الاخير . وقد كشف شارون فيما بعد ، في افادته امام لجنة التحقيق ، ان ايتان قد قال له في ذلك المساء : « ان الكتائبيين يبالغون » . وقد اضاف بأنه في هذه اللحظة علم بما يحدث في المخيمات .

وباتباع طريق المطار ، صعدت القوة الكتائبية نحو الشمال ، ودخلت الى شاتيلا من الجنوب والشرق ، وبدأت فورا « بالعمل » . ومنذ وصولها الى المخيم ، التقت بجماعة من النساء والاولاد ، الذين تم قتلهم فورا وبسرعة . ثم قام رجال الميليشيات ، عند اول منزل وصلوا اليه بتذبيح عائلة بكاملها ، مجتمعة حول مائدة . واثر ذلك على الفور ، بدأت جرافة بتدمير المنزل . وقد قامت الجرافات احيانا بتهديم المنازل فوق سكانها وكان المهاجمون يبحثون عن ضحاياهم حتى في الملاجيء ، والذين لم يتح لهم الوقت للفرار قبل وصول الكتائبيين كان يجري قتلهم في داخل بيوتهم . ولم يسع المعتدون ، في اية لحظة ، للتمييز بين فلسطينيين ولبنانيين . فلم يكن لديهم الوقت لذلك، وجميع الذين كانوا يلتقون بهم في طريقهم قضي عليهم بالموت .

ان جميع الشهادات حول تصرفات المهاجمين الذين

دخلوا الى المخيمين بعد ظهر يوم الجمعة تتوافق : ان الامر يتعلق بعملية معدة ومنفذة ببرودة دم .

ومن المناقشات بين صحافيين اسرائيليين واجانب وضباط كتائبيين يظهر خطأ الطرح (الذي اعتمد في البدء) والقائل بأن المذبحة والتدميرات كانت ثمرة انفجار غضب وثأر عفويين نتجا عن اغتيال بشير الجميل . وهذه المذبحة يبدو انها حدثت عن سابق تصور وتصميم . وكانت تهدف الى استثارة نزوح مكثف للفلسطينيين الى خارج بيروت بل ولبنان .

وهكذا فان وحشية الجرائم — تجريح الاجسام بالسكاكين ، وتقطيع الاطراف ، وتمزيق الاطفال ، وسحق رؤوس بعضهم على الجدران ، يمكن ان تفسر بارادة الارهاب ونشر الرعب لدى الفلسطينيين .

وهذا الطرح قد تبناه ايضا المراسل العسكري لصحيفة « هاآرتس » زيف شيف ، وكذلك ايهود ياري ، الاختصاصي في المسائل العربية لدى التلفزيون الاسرائيلي . وان التدمير المنهجي لمنازل اللاجئين يدعم ذلك الطرح . فبدون مساكن ، لن يكون أمام اللاجئين الفلسطينيين سوى الرحيل . وبعكس ما ادعى البعض ، فان الجرافات التي طلبها الكتائبيون من الاسرائيليين لم تكن مخصصة لتهديم حواجز مفترضة .

ومن جهة اخرى ، وبفضل الصور الجوية الملتقطة ، فان العسكريين الاسرائيليين كانوا يعلمون تماما بأنه لا توجد في المخيمين لا حواجز ولا متاريس . ولم يكن يمكن ان تخدم الجرافات الا في تدمير المنازل ودفن الجثث في حفر مشتركة . وصرح الجنرال يارون اثر ذلك امام لجنة التحقيق في ٧ تشرين الثاني ، قائلا : « لقد كنا نعلم ان الكتائبيين كانوا يريدون هدم المخيمين » .

ان تدمير المساكن بالجرافات لجعل ساكنيها يهربون قد تم اختباره عدة مرات من قبل الاسرائيليين منذ بداية الحرب ، منذ حزيران ١٩٨٢ . والواقع ان مخيمات اللاجئين في الجنوب قد جرى قصفها ثم هدمها بالديناميت والجرافات . وفي اسرائيل ، جرت تسمية هذه العمليات بـ « تدمير البناء الاساسي للارهابيين » . وكان الهدف منها منع الفلسطينيين من تنظيم

انفسهم كجماعة وطنية في لبنان. ولاجّل هذا ، كان من الضروري ليس فقط تهديم المنازل ، بل ايضا تدمير مختلف المؤسسات الفلسطينية (المدارس ، المستشفيات ، واماكن الغوث الاجتماعي بمختلف انواعه) ، وكذلك « افراغ » السكان من الذكور الراشدين ، (لقد جرى اعتقال الاف الرجال الفلسطينيين ، واضطر الاف اخرون للفرار) .

عند بدء الحرب ، تلقى ضباط الوحدات الاسرائيلية التي عليها تقديم مساندة للسكان اللبنانيين توجيها واضحا جدا من الوزير ياكوف ميريدور المكلف بشؤون اللاجئين في الحكومة الاسرائيلية « ادفعوا الفلسطينيين نحو سوريا . دعوهم يخرجون ، ولكن لا تسمحوا لهم بالعودة » . ان العقيد دوف يرمياح ، قد شطب اسمه من كوادر الاحتياطي ، لانه تحدث علنا عن ذلك ، وكذلك من اجل كشفه وقائع اخرى من الحرب اللبنانية . ومؤكد ان « برنامج » الوزير ياكوف ميريدور هذا لم ينفذ . صحيح انه في هذه المرة ، بخلاف ما كان عام ١٩٤٨ ، ليس لدى الفلسطينيين مكان يذهبون اليه . لكن هذا « البرنامج » وجد بصورة مؤكدة . وقد اعترف بهذه الواقعة الوزير ياكوف ميريدور اثناء اجتماع الحكومة الاسرائيلية في ١٣ تشرين الاول ١٩٨٢ ، الذي اوضح الوزير خلاله ان الخطة كانت تقضي بترحيل اللاجئين الفلسطينيين من لبنان الجنوبي نحو الشمال . اذن فان التدمير المنهجي المصمم لمخيمات الجنوب كان يهدف تماما لاستثارة فرار اللاجئين .

وفي حالة صبرا وشاتيلا ، لم تكتف الكتائب بتدمير المنازل وحسب جميع الشهادات ، فان الكتائب تريد نشر الرعب والارهاب ، لكي تدفع بصورة مؤكدة اكثر اللاجئين المذعورين الى خارج لبنان . وهذا حلم كتائبي قديم : تخفيض عدد اللاجئين من ٥٠٠ الف الى ٥٠ الف ، لكي لا « يحقق هؤلاء انقلابا في التوازن السكاني بين المسيحيين والمسلمين » (المعروف ان القسم الاكبر من الفلسطينيين هم من الطائفة الاسلامية) .

والهدف ايضا هو الاعتراض على وضعهم الخاص في لبنان ، واخضاعهم للقوانين الخاصة بالاجانب ، واجبارهم

على ان لا يمارسوا سوى نشاط سياسي محدود .

ان البعض ، منذ دخول الجيش الاسرائيلي الى بيروت الغربية ، لم يخفوا مخاوفهم من أن تتبع هذا الهجوم الجديد مذبحة للفلسطينيين وتدمير مخيماتهم . وقد عبر عن هذه المخاوف ، مثلا ، النائب السابق يوري أفنيري ، رئيس « مجلس السلام الاسرائيلي ــ الفلسطيني » فيوم الاربعاء ١٧ أيلول ، أطلق أفنيري تحذيرا ، متهما الجنرال شارون بالسعي ، تحت ستار عملية عسكرية ، لتدمير مخيمات بيروت الغربية كما فعل مع مخيمات عين الحلوة قرب صيدا والرشيدية وبرج الشمالي قرب صور « مستثيرا بذلك آلاما رهيبة جديدة لعشرات الالاف من المدنيين الفلسطينيين الابرياء الذين عانوا كثيرا وتألموا كثيرا في هذه الحرب » ، وقد ظهر هذا البيان في الصحافة الاسرائيلية منذ الصباح .

وطوال النهار كله ، أنجزت القوات الاسرائيلية ابادة اخر مواقع المقاومة في العاصمة اللبنانية ، وفي الاحياء الشعبية ، حيث قام الاسرائيليون بالسيطرة على أهم مكاتب المنظمات التقدمية اللبنانية ، كانت الاشتباكات قاسية جدا أحيانا . وفي كورنيش المزرعة ، احتلت القوات الاسرائيلية المكتب الرئيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك مكتب صحيفة « الهدف » ، صحيفة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يرئسها جورج حبش . كذلك جرى احتلال مقري المنظمتين الناصريتين ، « المرابطون » و « الاتحاد الاشتراكي العربي» .

ونشبت معركة مع عناصر حداد التي هاجمت المركز تكبد فيها المهاجمون خسائر في الارواح والسيارات ، وسقط للحزب التقدمي الاشتراكي شهيد ، ولم تتمكن تلك العناصر من الوصول الى مقر الحزب .

واثناء المداهمات ، أعتقلت القوات الاسرائيلية مئات من الاشخاص ، في الاحياء السكنية . وقد اقتيد المعتقلون ، واغلبهم من الشبان ، الى الملعب حيث كان يجري التحقق من الهويات ، فالذين أشتبه بانهم ارهابيون يجري سجنهم ، والاخرون يطلق سراحهم .

وفي الميدان الدبلوماسي ، تضاعفت الاحتجاجات ضد دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية . لكن تصريح

الرئيس ريغان لقي تقدير مناحيم بيغن . فقد صرح ريغان ، في الحقيقة ، يوم الجمعة بانه مقتنع بأن اسرائيل « اضطرت للتقدم بسبب هجوم ميليشيا يسارية ما زالت في الساحة ».

ومن جهتها ، فان وزارة الخارجية الاميركية تابعت جهودها في اتجاهات أخرى ، وفي فترة بعد الظهر ، التقى وزيرا الدفاع والخارجية الاسرائيليان، ارييل شارون واسحاق شامير ، من جديد بالمبعوث الخاص موريس درايبر . ان الدبلوماسي الاميركي ، الذي سبق له في مناسبات أخرى ان اصطدم مرارا بأريل شارون ، طلب بأن يسلم الجيش الاسرائيلي « في أسرع وقت » مواقعه في وسط المدينة الى الجيش اللبناني .

وأجابه شارون : « بعد بضع ساعات يبدأ العام الجديد ولم يعد في الامكان فعل شيء في هذا الصدد » (حسب قول صحيفة « هاآرتس »).

وقال درايبر : « نحن نفقد أياما ثمينة من اجل نقل المدينة الى يدي الجيش اللبناني » . وأجابه شارون « ان دخول الجيش الاسرائيلي يحمل السلام والامن ويحول دون مذبحة للسكان الفلسطينيين في القسم الغربي من المدينة » .

وحينئذ لم يكن الجمهور الاسرائيلي ، شأنه كسائر العالم ، عارفا بالمذابح التي تجري في بيروت الغربية .

ونشرت الصحيفتان المسائيتان الكبريان « يديعوت احرونوت » و « معاريف » عددين خاصين بمناسبة رأس السنة اليهودية . وقد وضعتا عنوانا رئيسيا حول المقابلة التي اعطاها لهما في هذه المناسبة رئيس هيئة الاركان : « دخولنا الى بيروت الغربية حال دون كارثة » .

وفي قواعدهم ، في بيروت وجوارها ، كان الجنود الاسرائيليين جالسين حول موائد أعدت خصيصا بمناسبة السنة الجديدة . وكان المراسل العسكري للتلفزيون الاسرائيلي ، رون بن ييشاي ، في صحبة ضبار كبار من وحدة متمركزة في بعبدا ، وهي ضاحية شرقية لبيروت . وفي الساعة العشرين ، سمع فريق من الضباط الذين يحيط فوج دباباتهم بشاتيلا ، يروون ان جنديا وضابطا من وحدتهم أكدا

انهما شاهدا بأعينهم عمليات قتل تعسفية عند سور المخيم ، حيث قتل ساكن برصاصة في راسه لانه رفض اتباع رجال الميليشيا ، « وفظائع » أخرى . وأجاب القائد بأنه سيقوم غدا بتحقيق ، وانه سيذهب الى رئيس الاركان ، اذا لزم الامر ، لمعرفة الحقيقة . وخلال باقي السهرة ، لم يكف الضباط عن مناقشة ما يحدث في المخيمين .

وفي الساعة ٢٣ و٣٠ دقيقة ، قال لهم المراسل : « اذا كنتم متأكدين مما تروون ، فسأتصل بزوير الدفاع » ، وهذا ما فعله فورا . (ان المراسلين العسكريين يملكون جميعا رقم الهاتف الخاص للوزير) ، وقد قال المراسل ـ مضطربا للوزير : « يجب فورا فعل شيء لوقف ما يحدث في المخيمين . ان ضباطنا يعرفون ما يحدث ، وبعد بضع ساعات سوف تطلع صحافة العالم بأسره على ذلك ، وسنكون في موقف صعب جدا » ، واصغى اربيل شارون بانتباه ، وسأل الصحافي اذا كان يعرف تفاصيل أخرى ، فأكد له بن بيشاي ان جنودا اسرائيليين شهدوا عمليات قتل تعسفية في شاتيلا ، على مقربة من المقر العام للواء . وقال بن بيشاي فيما بعد : « لم يظهر الوزير أي رد فعل . لقد شكرني وتمنى لي « عاما سعيدا » . وانطباعي هو انه كان مطلعا على ما كان يحدث في المخيمين » .

وخلال يوم الجمعة ذاك ، حاول عدة صحافيين أجانب الدخول الى المخيمين ، بعد ان سمعوا أقوالا مقلقة بخصوص ما كان يحدث في صبرا وشاتيلا . ان المبعوث الخاص لصحيفة « نيوزويك » الاسبوعية الاميركية قد قطع طريقه حاجز مؤلف من جنود اسرائيليين ورجال سعد حداد .

وحسب قول الصحافي ، فقد قال له احد هؤلاء الرجال: « لا تستطيع الدخول ، لاننا في الوقت الحاضر نقوم بتذبيحهم» وقد اوضح له الضابط الاسرائيلي ، واسمه ايلي ، ان قوات الجيش الاسرائيلي قد تلقت الامر بدون ازعاج رجال الميليشيات الذين « يقومون بتنظيف المكان » .

-٥-

السبت ١٨ أيلول

"في هذه العمليات"
"لا يؤخذ أسرى"

يوم السبت ، فجرا ، كانت المذبحة مستمرة . وسوف تستمر حتى منتصف النهار . وفي كل مكان ، كان رجال الميليشيات يواصلون القتل ، والجرافات تهدم المباني . وقد كلفت مجموعات بملء الحفر المشتركة « القبور الجماعية » في تكتم .

وفي الساعة السادسة صباحا ، دعت جماعة من الميليشيات بمكبرات الصوت سكان صبرا لمغادرة المنازل والملاجيء والتجمع . وكانوا يرددون في جميع الازقة «سلموا تسلموا » . وخرج بضع مئات من الاشخاص ، اكثر من الف حسب قول البعض ، واغلبهم شيوخ ونساء واطفال ، وعادوا للتجمع ، مذهولين ، في الشارع الرئيسي . وكانوا يرفعون اعلاما بيضاء واعلاما لبنانية .

وقد قادهم رجال الميليشيات نحو الجنوب ، في شارع ابو حسن سلامة في شاتيلا . واثناء السير ، كان رجال الميليشيات يأخذون احيانا جماعات صغيرة من الاشخاص ، ويضعونهم امام جدار ، ويقتلونهم . وتأتي الجرافة اثر ذلك لتهديم المنازل ، دافنة الجثث تحت الانقاض . وقرب المخرج، كان فريق كتائبي يفصل الفلسطينيين عن اللبنانيين ، ثم الرجال عن النساء بين الفلسطينيين . ثم كان يجري اجلاس هؤلاء الرجال ، وحولهم كانت جثث مكدسة . وكانت ضجة الجرافات التي تهدم المنازل جهنمية . وبعد ذلك بقليل ، وصل رجال ميليشيات ، واختاروا مجموعة اولى من الفلسطينيين وذهبوا معهم . وقد اصعدوهم الى شاحنات واقفة امام السفارة الكويتية . ولم يكن هناك متسع للجميع. وارغم رجال الميليشيات هؤلاء على التمدد ووجوههم الى الارض لكي لا يروا في اية اتجاهات تمضي الشاحنات . وقد اختفى اثر الفلسطينيين هؤلاء الذين اخذتهم الشاحنات . واحيانا ، بعد ثوان فقط من ذهاب جماعة جديدة ، كان يسمع دوي اطلاق رصاص غزير . وقد سمع احد الفلسطينيين الحاضرين رجل ميليشيا يقول لاحد رفاقه : « الافضل تصفية اكبر قدر منهم ، قبل تسليمهم الى الاسرائيليين » .

وفي الساعة الثامنة ، امر رجال الميليشيا سكان المخيم

بالتوجه نحو الباب الجنوبي . وهناك كانت توجد سيارة « لاند روفر » تولى شخص في داخلها التعرف الى هوياتهم ، وعين بعضهم ، الذين اخذوا فورا ولم يرهم احد بعد ذلك . وقد شهدت نساء ، فيما بعد ، انهن رأين هؤلاء الرجال يصعدون الى شاحنات ، والباقون تابعوا طريقهم دائرين حول المخيم نحو المدينة الرياضية . واثناء الطريق ، حدث انفجار قتل عدة اشخاص منهم . ولم يعرف ما اذا كان الامر يتعلق بلغم ام بقنبلة يدوية .

وغير بعيد عن ذلك المكان ، كان الجنرال الاسرائيلي ، من مقره العام قرب السفارة الكويتية يراقب موكب هؤلاء الشيوخ والنساء وهؤلاء الاطفال الباكين ، المرتدين اسمالا ، وقسم منهم تنزف من اجسامهم الدماء . وقد امسك بمكبر صوتي واعلن حينئذ ان النساء والاولاد يستطيعون العودة الى منازلهم ، وانه لن يحدث لهم شيء . وقد وزع الجنود الاسرائيليون عليهم الخبز والماء والبرتقال . اما الرجال فقد ادخلوا الى داخل المدرج لكي يجري استجوابهم . وقد طلب الاسرائيليون منهم « ان يكشفوا عن مخابيء الارهابيين» وروى فلسطيني ، اطلق سراحه فيما بعد ، انه اجابهم بأن « المقاتلين قد رحلوا من بيروت في السفينة » . وهدده المحقق حينئذ بهذه العبارات : « اذا لم تقل لنا الحقيقة ، فانت تعلم انه يوجد هنا كتائبيون وجنود لسعد حداد ! » . وفعلا ، كان هؤلاء موجودين ايضا داخل المدرج . وقد عثر فيما بعد على ٢٨ جثة لسجناء ، مقيدي الايدي ، داخل المدينة الرياضية و ٤ جثث في حوض السباحة .

وبصوره موازية ، في الساعة السادسة او السابعة ــ تختلف الشهادات هنا ــ حضر سبعة من ميليشيات الكتائب الى مستشفى غزة ، في القسم الشمالي من مخيم صبرا ، وامروا بأن يتجمع الشغيلة الطبيون قرب مدخل المستشفى ، وسمحوا فقط لطبيب واحد وممرضة بمواصلة الاهتمام بالمرضى والجرحى . وكان اعضاء الفريق الطبي ينتسبون الى بريطانيا العظمى ، وايرلندا ، والجمهورية الاتحادية الالمانية ، وفرنسا ، وهولندا ، والنروج ، والسويد

والدانمرك ، وفنلندة والولايات المتحدة « كان بينهم امـــرأة يهودية تدعى ايلين سييجل » . وكـــــان بينهم ممرضـــات فلسطينيات . وبعد بضع محاولات للتخويف وبعض الشتائم الموجهة « لهؤلاء القذرين الذين يعملون في خدمة اعدائنا » طلب رجل من الميليشيات الى ممرض فلسطيني بان يظهـــر هويته ، وتدخل الطبيب النروجي بيار مايهولمشاغن ، واراد معرفة الهدف من هذا التحقيق . فأجابه عضو الميليشيات : « انت قم بعملك ، ودعني اقوم بعملي » . واخـــذ حينئـــذ الفلسطيني الى خارج المستشفى وتم قتله . وقد تبعه رفيقه بعد قليل الى الموت ، وكذلك عضو سوري ، من الفـــريـــق الطبي . وبعد ذلك ، اقتيد باقي اعضاء الطاقم الى الشارع الكبير في شاتيلا ، حيث كان قد تم جمع مئات من الاشخاص، ومن هناك ، اخذ الجميع الى المقر العام الكتائبي ، في مبنى الامم المتحدة ، الواقع عند مفترق طرق السفارة الكويتيـــة . ووراءهم صاح رجال الميليشيات الذين يراقبونهم :

« هؤلاء هم اعضاء عصابة بادر ــ ماينهوف » .

كما صرخوا :

« شيوعيون قذرون ! » .

وهناك ، اوقف الجنـــــرال الاسرائيلي اموس يارون الجماعة ، وطلب من الكتائبيين الذيـــــن يلبسون قلنسوات « بيريه » سوداء ، ويضعون على زيهم العسكري شـــــارة « ام بي » ــ الشرطة العسكرية ــ ان يطلقوا سراح الفريق الطبي . وجرى حينئذ تسليمهم الى السلطات الاسرائيليـــة التي بعد ان تحققت من هوياتهم ، قدمت لهم وجبة طعام ، ثم اطلقت سراحهم .

وطوال فترة قبل الظهر ، كان العديدون من سكـــــان المخيمين يؤخذون ويختفون ، وبصورة عامة ، كان يجـــري تكديسهم في الشاحنات التي تذهب الى مكان مجهول .

ان احد اشد الاسرار غموضا في المسألة كلها هو سر المفقودين . ولا شك في انه لن يمكن ابـــــدا تحديد عددهم المضبوط ، وقد عثر على جثث ، القيت من الشاحنات حسب كل تقدير ، على طول الطرق المؤدية الى الجنوب . وهـــذه

الطرق ، الملأى بالجثث ، تمر بالاوزاعي ، وخلدة ، وحارة الناعمة ، وكفرشيما . كما تم العثور على جثث اخرى على طريق المطار .

وفي الساعة العاشرة ، حل الصمت في المخيمين ، ولم يعد يرى هناك اي شيء حي . وامام مدخل شاتيلا وفي الازقة الاولى ، كانت جثث متشابكة . وكانت رائحة العفونة هناك ، التي زادتها الحرارة ، خانقة ، وكان الصوت الوحيد المسموع هو دندنة الذباب الحائم فوق الجثث . واقتربت الدبابات الاسرائيلية الاولى من المدخل ! كانت تلك علامة على ان كل شيء قد انتهى . وصعد اعضاء ميليشيات القوات اللبنانية ، واحدا اثر اخر ، الى سياراتهم واخلوا المخيمين ، في اتجاه قواعدهم .

وشيئا فشيئا ، عاد من بقي من السكان للظهور . والاخرون ، الذين تمكنوا من الفرار ، بدأوا يعودون . وفي فوضى لا يمكن وصفها ، اخذوا يقومون بالبحث للعثور على اعضاء عائلاتهم وسط الانقاض والجثث ، وتحولت الصيحات الاولى الى زمجرات من الالم . وعند الظهر ، وصلت القوات الاولى من الجيش اللبناني الى تلك الامكنة ، واقفلت المخيمين على الفور .

لقد قام لاجئون انتابهم الرعب ، والذين استطاعوا الخروج ، قاموا يطلعون العالم الخارجي على ما حصل . وحوالى الظهر ، سارع مراسلو الصحافة والاذاعة والتلفزيون ، نحو صبرا وشاتيلا ، وكان للصور التي التقطوها ، والاوصاف التي اذاعوها ، تأثير كبير . واليكم مثال من لهجة هذه التحقيقات الصحفية الاولى :

لقد كتب مبعوث صحيفة « الواشنطن بوست » الاميركية يقول :

« لقد تم تدمير منازل وتحويلها الى غبار ، بواسطة الجرافات الضخمة ، في حين كان سكانها — اي المنازل — في داخلها . وكانت جثث مكدسة تشبه دمى دون حياة ، ملقاة هناك من مكان مجهول ، وفوقها ، توجد جدران مثقوبة

تشهد بان اصحاب تلك الجثث قد اعدموا بالرصاص . وفي حديقة صغيرة ، كانت امراتان ممددتين ، مثل كيسين من القمح ، قرب انقاض يبرز منها راس طفل ثابت العينين . وقربهم ، كان طفل في قماطه مقلوبا على ظهره ، وراسه مسحوق . وفي الجانب الاخر ، في درب مسدود صغير ، عثرنا على بنتين يبلغ عمر احداهما ١١ عاما ، والثانية في الاشهر الاولى من عمرها : كانتا راقدتين على ظهرهما ، وافخاذهما ممدودة ، وراس كل منهما مثقوب بثقب صغير . وعلى بعد خطوات منهما ، قرب مبنى صغير يحمل الرقمين ٤٢٢ و ٤٢٤ ، كانت جثث ثمانية رجال تم اعدامهم بالرصاص. وكل زقاق مليء بالغبار كان يروي قصته الخاصة .

وفي احد هذه الازقة ، كانت ١٨ جثة مكدسة بعضها على البعض الاخر ، مشدودة وغريبة الشكل ، وعلى مقربة من ذلك ، في باحة صغيرة لمنزل من الاسمنت ، كانت امراة في زهاء الاربعين من عمرها ، ترتدي ثوبا قطنيا ، ممددة على ظهرها ، كان راسها محاطا بحجاب وعيناها مفتوحتين . وقد قتلت برصاصة اطلقت بين ثدييها . وقرب دكان صغير ، كان يثوي عجوز في السبعين من عمره ، وراسه في الغبار، ويده ما زالت مشدودة في حركة استعطاف ، لقد قتل برصاصة اطلقت عليه عن قرب .

وبعد قليل زار المخيم صحافيون ودبلوماسيون اميركيون واوروبيون ، — بينهم سفير فرنسا بول مارك هنري — وما تبقى من ازقته الضيقة . وقد اكتشفوا مئات من الجثث المتناثرة ، والاعضاء البشرية الممزقة . كانت هناك ام ، تشد طفلها بين ذراعيها ، وكلاهما قتل برصاصة في الراس ، وكانت هناك نسوة عاريات ، واقدامهن ومعاصمهن مقيدة وراء ظهورهن . وكان رأس طفل يسبح في بركة من الدم ، ورضاعة الحليب الى جانبه . وعلى لوحة للكوي ، قرب احد المنازل ، وضعت الاطراف المقطوعة لطفل ، في شكل دائرة ، وراسه يكللها .

وتبين احصائيات اليونيسيف انه بالنسبة لكل مقاتل سقط ، قتل عشرة اطفال ، في الحرب اللبنانية . وفي

صبرا وشاتيلا ، ينشأ الانطباع بـأن القتلة قـد تصرفوا بضراوة خاصة ضد الاطفال . وقد قالت ام للصحافيين وهي منهارة كليا : « لقد توسلت اليهم لتوفير ولدي البالغ مـن العمر خمس سنوات لكنهم اجابوني : حين يكبر سيكـون ارهابيا ، وقتلوه » .

وتحت بعض الجثث ، وضع القتلة قنابل يدوية منزوعة الغطاء لاجل قتل اعضاء اسـر الضحايا الذين يريـدون استعادة جثث ذويهم . وجرى تعذيب الجميع قبـل الاجهاز عليهم ، وكان بالامكان تميز اثار التشويه بصورة واضحـة التي الحقت بأجسام الضحايا بعد موتها .

وحفرت قبور مشتركة على وجه السرعة . وكانـت اطراف من سواعد ورؤوس وسيقان ، تخرج من الارضـ المحفورة حديثا . وكان الصحافيون المذهولون من تلك المشاهد يحصون ، كل لنفسه ، عدد الجثث . ووصل احدهم الى رقم ٨٠ ، وتوقف مرتقبا . واحصى اخر ١٥٠ جثة ، في مجموعة واحدة من المنازل . لكن هذه الارقام لا تعني شيئا : فقد كانت كبيرة في الواقع اعداد الضحايا المدفونين تحت انقـاض المنازل المنهارة . وقد مات البعض بصورة ظاهرة منذ صباح الخميس ، والبعض الاخر مات منذ بضع ساعات فقط .

وعلى جدار سليم من منزل منهار كانت لا تزال صـور دينية معلقة . كان سكان ذلك المنزل من المسيحيين وهـم ايضا ولا شك لاقوا الموت .

وروت جميلة للصحافيين ، وهي امرأة في الخامسـة والثلاثين من العمر ، وترتدي الثوب الاسود ، وزوجها يعمل في العربية السعودية قائلة : « منذ بدء اطلاق نيران البنادق، يوم الخميس ، فررت من المنزل مع ابنتي الاثنتين ، وكـان رماة متمترسون يسدون مدخل ومخرج مخيم شاتيلا ، لكنني استطعت التسلل من زقاق نحو مستشفى عكا » وقد قاطعتها ابنتها امل ، وهي في السابعة عشرة من العمر قائلة :

« لقد غادرت جدتي المخيم لاحضار الطعام . وقـد عادت ، لكنها لم تصل الى المستشفى . ومنذ ذلك المسـاء ، اخذ اشخاص يصرخون « يجري ذبحهم ، يجري ذبحهم » .

وبدانا نصدقهم حين وصل الجرحى الاوائل الى المستشفى ، وحين راينا انهم مصابون برصاص اطلق عليهم عن قــرب . وقال لنا احدهم ان رجال الميليشيات قد صفوا فـــي احــد المواقع ٣٠ شخصا على طول جدار واعدموهم بالرصاص جميعا » .

واستأنفت جميلة الكلام قائلة : « صباح الجمعة ، عدت الى المخيم للبحث عن امي . وقد باغتنـــي احد اعضـاء الميليشيات ، وقد امسك بي من ذراعي وقادني الى منــزل قريب من منزلنا . وفي الداخل كان هناك اربعة جنــود . وقال لي « تعري ، ودعيهم يفعلون بك مـــا يريدون ، والا فسوف اقتلك على الفور » وقاموا باغتصابي . والتفتــت جميلة نحو الصحافيين واضافت قائلة : « ارجوكم ، لا تنشروا اسم عائلتي ، فانتم تفهمون ... العار ... » واضافت بان رجال الميليشيات ابقوها على قيد الحياة لانها لبنانية ، وكانت تحمل جوازها معها ، وقد اطلعتهم عليه . لكن ذويها ، وابناء عمومتها واخاها ، لم يتح لهم الحظ نفسه . وقالت : « حين وصلت الى منزلي ، رأيت جثة امي في الطريق وقــد لففتها في غطاء . ثم وجدت جثة والدي ، وكان قد قتل في سريره ، وقرب كرسيه النقال . وهو شخص كسيح . وقد تم تدمير قسم من المنزل ، بالجرافة او بالديناميت ، لســت ادري .

وقالت وهي تشير الى ما بقي من منزلها : انظروا ، لم يعد لدي منزل ، ولا نقود ، ولا شيء ، ماذا سأفعل ؟ وفي هذه اللحظة ، وصلت ابنتها الثانية ، وصاحت : « لقد عثروا على خالي ! » وقطعت جميلة كلامها ، وركضت مــع ابنتيها الى ذاك المكان حيث كان مسعفو الصليب الاحمر قد اخرجوا جثته من بين الانقاض . وتوقفت جميلة ، وتحققت من جثــة اخيها ، وانهارت وهي تزمجر من الالم .

امام ما بقي من مسكنها ، روت ناجية اخرى قصــة جارتها ، قالت :

« كانت جارتي تسكن في مواجهتنا . وهي ، مــع عائلتها ، قد بقوا في منزلهم ، ولم يفهموا ولا شك ماذا كان

يحدث . فمنذ زمن طويل ونحن نعيش في ضجة المعارك وعمليات القصف . وحين عدنا ، وجدناها ، مقيدة اليدين والرجلين ، ومذبوحة بالسكين . وقد انتزعت ثيابها الداخلية عنها . واعتقد تماما انها اغتصبت . ولم نر احدا من عائلتها » . وسئلت هل رات المهاجمين ؟

اجابت : « نعم ، ولم يكونوا اسرائيليين . كان المهاجمون يلبسون بذلات خضراء خردلية ، ولم يكونوا يحملون اية شارة ، وبعضهم كان يحمل على صدره شارة « القوات اللبنانية » وعلى كتفه شارة جيش « لبنان الحر » الذي يقوده سعد حداد » وحولها ، اكد الناجون الاخرون صحة هذا التفصيل .

وعلى الجدران التي ما زالت قائمة ، كان يمكن قراءة ما كتبه بعض رجال الميليشيات . مثلا : « طوني مر من هنا » او « الله ، الوطن ، العائلة » ـ «شعار الكتائبيين» الامضاء: « الكتائب » . وفي مكان اخر كتب احدهم : « قوات بعبدات» ـ بلدة قرب بكفيا ـ وهناك بعض الكتابات الفظة مثل « جميعهم عك ... » .

كانت امراة جالسة على حجر تهمس قائلة : « امي ، وجدتي ، واخوالي ، وخالاتي ، جميعا ، جميعا ، اذهبوا وانظروا ، انهم جميعا في الباحة » وقربها ، كانت ام عائلة من شاتيلا ، تمكنت من انقاذ جميع اولادها تقول للصحافيين : « لقد استطاع ان ينجو فقط من يحسنون الركض » .

وحولها ، كانت نساء ما زلن تحت تأثير الصدمة ، يسرن ذهابا وايابا كأنهن اشخاص اليون . وكثيرا ما كان بعضهن يمسكن بأيديهن صورة زوج او شقيق او ولد ، لكن يساعدن في العثور عليهم . وكان الجو ، في المخيمين ، لا يطاق . وكانت اللهجة تتصاعد مع ظهور الحقيقة . والمهاجمون لم يوفروا الحيوانات . فقد عثر على جثث ثلاثة جياد ، وجثث كلاب وقطط .

ان جنودا من الجيش اللبناني ومسعفين من الصليب الاحمر ، الذين وصلوا الى تلك الاماكن منذ نهاية المذبحة ، اشاروا بالاصبع لصحافيي العالم بأسره الى العمارة المؤلفة

من عدة طبقات والتي تشرف على مخيم شاتيلا : وفي هــذه العمارة ، وهذا معروف ، يوجد المقر العام للجيش الاسرائيلي. وسأل احد المسعفين قائلا : « هل يمكن لاحد ان يصدق ان الاسرائيليين من فوق لم يشاهدوا ماذا يحدث هنا ؟ والحقيقة ان كل ذلك جرى تحت انظارهم ! » . وقد حاول الصحافيون حينئذ ان يتحدثوا على حدة مع بعض الضباط الاسرائيليين الذين كانوا ، خلال اليومين الماضيين ، في تلك الاماكن ، وبصورة خاصة الذين كانوا منهم في المقر العام . وبدا

كثيرون من هؤلاء الجنود مصدومين باخلاص امام ضخامة المذابح . وراح احدهم يبكي بدموع حارة .

وقال اخر لصحافي اسرائيلي : « اليوم ، لا استطيع قول الحقيقة . وعلي ان الزم الصمت . لكنني في يوم ما سوف اتكلم » . والاغلبية من الضباط والجنود الاسرائيليين قد تمسكوا بالتعليمات الدقيقة التي تلقوها ، وكانوا يجيبون : « لم نكن نعلم شيئا » وقال ملازم في العشرين من عمره لفريق من التلفزيون الفرنسي : « في ناحيتي كان الهدوء ، وانا لم اسمع شيئا » .

واعلن ضابط اخر قائلا : « نحن لم نفعل شيئا . ونحن لسنا مسؤولين عن اعمال الكتائب السيئة » وفقد جندي شاب السيطرة على اعصابه وانتهر مبعوثا من صحيفة « معاريف » اليومية الاسرائيلية صائحا :

ـــ « لماذا تفعل الصحافة هذا ؟ ولماذا يجب كتابة كل ذلك ؟ ولماذا هذه الصور ؟ ولماذا تكشفون عن كل هذه الامور ؟ ومن الذي يحتاج لها ؟ هذا لا يفيد سوى اعدائنا !» .

والكتائب ، من جهتهم ، يبدون مفتخرين ، وقد صرح ضابط من « القوات اللبنانية » لمراسل اميركي قائلا : « طوال اعوام انتظرنا ان نستطيع الدخول الى مخيمات بيروت الغربية . وقد اختارنا الاسرائيليون لاننا افضل منهم في هذا النوع من العمليات .. بيتا فبيتا » ، وحين سأله الصحافي ما اذا كانوا قد اخذوا اسرى اجابه : « في هذا النوع من العمليات لا يؤخذ اسرى » .

وبعد الظهر بقليل ، انطلقت الانباء الاولى نحو العالم

باسره ، بواسطة المركز الصحافي الاسرائيلي في بعبدات ، شرقي بيروت ، ذلك لان جميع الاتصالات الدولية الهاتفية وبالتيلكس كانت مقطوعة في بيروت منذ صباح ذلك اليوم . وفي اسرائيل كان ذلك السبت هو اول يوم من يومي راس السنة اليهودية ، وكانت الاذاعة تبث برامج العيد ، والموسيقى الخفيفة . وفي الساعة ١٤ ، اعلنت الاذاعة الوطنية « كول اسرائيل » في نشرة انبائها قائلة : « يذكر مراسلون في بيروت ان اعضاء من الميليشيات المسيحية قد قتلوا مئات من سكان مخيمات اللاجئين في غرب المدينة » .

وحسب قول المقربين اليه ، فان رئيس الوزراء مناحيم بيغن لم يعلم بالمذابح الا في فترة بعد الظهر ، لدى سماعه في الساعة ١٧ نشرة انباء الاذاعة البريطانية الـ «بي بي سي» .

ويؤكد مساعده العسكري ، العقيد ازريال نينو ، هو ايضا بأنه لم يعلم بأمر المذابح الا بعد ظهر السبت ، وكذلك فان امين سر الحكومة ، دان ميريدور ، قال انه سمع الحديث عن ذلك لاول مرة في الساعة ١٥ من ذلك اليوم ، من فم مراسل لوكالة « يونايتد بريس » في اسرائيل ، ومع ذلك ، فان رفائيل ايتان ، في افادته امام لجنة التحقيق ، اكد بأن مناحيم بيغن قد اتصل به ، يوم السبت في الساعة التاسعة ، لابلاغه الشكاوى الاميركية في صدد احداث جرت في مستشفى غزة . وامام نفس لجنة التحقيق هذه صرح بيغن فيما بعد : « انني لا اذكر هذا الحديث مع ايتان » .

وفي الساحة ، كان ارتباك كبار الضباط الاسرائيليين ملحوظا . ووسط فترة ما بعد الظهر ، اصدر الجنرال امير دروري الامر الى رجاله بعدم الدخول الى المخيمين . وهو يخشى من ان وجود جنود اسرائيليين داخل شاتيلا يمكن ان يفسر من قبل المراسلين الصحافيين والمصورين ــ الذين كانوا يتدفقون من كل ناحية ــ بأنه برهان على اشتراك نشيط من الاسرائيليين في المذبحة .

ان الروايات الرسمية الاولى التي اذيعت في اسرائيل تثبت ، بلا جدال ، ارادة لنفي اية مسؤولية في القضية . وعند الظهر ، اجاب الناطق العسكري الصحافيين الذين

سألوه في تل ابيب : « نحن لا نعلم شيئا عن هذه المذابح المفترضة . وفي المخيمين بالذات ، لا يوجد اي وجود اسرائيلي . ونحن لا نعلم ما يحدث في هذين المخيمين ، ونحاول اثبات الوقائع » . وفي الساعة العشرين ، اشارت اذاعة « صوت اسرائيل » في نشرة انبائها انه « حسب قول مصادر عسكرية مخولة » اي ، كما نعلم اليوم ، الناطق العسكري الرسمي ، الذي لم يرد ان ينسب اليه البيان بصورة مباشرة ، ان « كتائبيين قد دخلوا بالامس الى نهاية مخيم شاتيلا ، وبعد عودتهم ، ذكر رجالهم لقوات الجيش الاسرائيلي انه قد حدثت معركة طاحنة ، وانه قد سقطت ضحايا من الجانبين . وتدخل الجيش الاسرائيلي لانهاء القتال » وتلا ذلك الجزء الخاص بالتبرير الذاتي ، من البيان، والمخصص للسكان الاسرائيليين : « انه بدلا من توجيه التأنيبات لجيشنا ، الافضل تهنئته على تدخله ، ولو المتاخر ، هناك حيث لم يكن ينبغي ان يتدخل ، متلافيا بذلك نكبة اكبر !! » .

وقبيل منتصف الليل بقليل ، اصدرت وزارة الخارجية الاسرائيلية بيانا رسميا ، قيل فيه ، لاول مرة ، ان « اسرائيل تدين المذبحة » ، قبل ان يضيف : « لقد حدث تبادل النيران بين القوات الاسرائيلية والمتطرفين الكتائبيين الذين اشتركوا في الاعمال الاجرامية » .

فكيف دخل هؤلاء « المتطرفون » الى المخيمين ؟ ومن الذي خطط وصولهم ورخص لهم بالدخول ؟ لم يقدم اي جواب على هذين السؤالين .

وفي ذلك المساء ، كان اعلان انباء المذابح المادة الاولى في اذاعات العالم باسره ومحطاته التلفزيونية . وقد قال الصحافيون ما لم تقله وزارة الخارجية الاسرائيلية : لقد جرت المذابح تحت اعين جنود الجيش الاسرائيلي وهم لم يفعلوا شيئا .

وفي الولايات المتحدة ، استثارت هذه البيانات انزعاجا داخل الطائفة اليهودية ، لا سيما وان الرئيس ريغان ، منذ مساء السبت ، القى ضمنيا على اسرائيل قسما كبيرا من

المسؤولية عن المذبحة . وفي بيان ذي قسوة لم يسبق لها مثيل ازاء الحليف الاسرائيلي ، ذكر الرئيس ريغان بان اسرائيل قد بررت دخولها الى بيروت الغربية بتأكيدها ان هذا الدخول « يتيح تلافي نوع المأساة التي حدثت الان » . ومن جهته ، فان مسؤولا عاليا من الحكومة الاميركية قد اكد ان الولايات المتحدة « سوف تدهش لاقصى حد ، لكون اسرائيل لم تعلم بما كان يحدث في المخيمات » . واضاف المسؤول الاميركي قائلا : « لقد كانت القوات الاسرائيلية تسيطر بصورة واضحة على مجمل القطاع الذي حدثت فيه المذابح » . وهذه المرة ، لم يوفر الاميركيون حكومة بيغن ، « ربما ، كما يعلق صحافي اسرائيلي ، لان الاميركيين يحسون هم انفسهم بنصيب من المسؤولية . ذلك لانهم ، في النهاية ، هم بالذات الذين اعطوا الضوء الاخضر للحرب في لبنان ، وهذه المذبحة هي نتيجة كان يمكن توقعها » .

ولفت موظفون اميركيون في تل ابيب النظر ، لدى اطلاعهم على الانباء الواردة من صبرا وشاتيلا ، الى ان الوسطاء اللبنانيين الذين اشتركوا في المفاوضات حول انسحاب قوات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت ، قد اظهروا مخاوفهم ، مرارا عديدة ، من مذبحة مقبلة لسكان المخيمين بأيد كتائبية . وفي ذلك الحين ، اكد فيليب حبيب ومساعده موريس درايير للوسطاء اللبنانيين بأنهما تلقيا « تعهدات واضحة وحازمة » من مسؤولي الحكومة الاسرائيلية والجيش الاسرائيلي بان مثل هذه المذبحة لن تحدث .

ويضيف الدبلوماسيون اللبنانيون : « والان لدينا شعور بأننا ، بتصديقنا الوعود الاسرائيلية ، قد تخلينا في الواقع عن فلسطينيي المخيمات لمصيرهم » .

وغداة المذبحة ، نشرت صحيفة « ها آرتز » افكار دبلوماسي اميركي يعمل في تل ابيب قال : « انهم ـ اي الفلسطينيون ـ قد وثقوا بنا ، ونحن وثقنا بكم ـ يقصد الاسرائيليين ـ والان ، فهمنا ، في وقت متأخر ، خطأنا » .

ان الرئيس ريغان ، في تصريح مكتوب اذيع يوم

السبت ، قد اتهم بوضوح تام اسرائيل بانها انتهكت الاتفاق حول انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت ، بمنعها ، اي اسرائيل ، الجيش اللبناني من تولي السيطرة على القطاع الغربي من العاصمة اللبنانية .

وبعد ردود الفعل هذه ، التقت قيادة الجيش الاسرائيلي في بيروت ، بضباط كبار للجيش اللبناني ، لاجل تنسيق دخول هذا الاخير الى مخيمات اللاجئين ، والى نقاط اخرى قرر الجيش الاسرائيلي الانسحاب منها ، وبصورة خاصة الشارع الكبير للمصارف في بيروت الغربية ، ولكن ، في باقي المدينة، واصل الجيش الاسرائيلي ، وكأن شيئا لم يكن ، ممارسة اعماله . وقد اعتقل خلال النهار زهاء الف من المشبوهين واقتيدوا الى مركز الفرز ، في المدرج الرياضي الملاصق لصبرا . وعند مدخل هذا المدرج الضخم المتهدم ، كانت نساء ينتحبن باكيات ، وقد ابقاهن بعيدات حاجز من الجنود الاسرائيليين ، تدعمهم عدة اليات تابعة لقوات الدبابات « م ـ ١١٣ » . وفي الداخل ، تظهر جماعات من الرجال الجالسين على الارض ، في صمت ، بانتظار عمليات التحقيق والاستجوابات .

وفي الخارج ، كان صحافي يحرر المقال الذي سيرسله، هذا المساء بالذات ، الى صحيفته ، بعيدا ، بعيداً جدا عن لبنان ، وقد جاء في هذا المقال : « انا موجود على مقربة من المدينة الرياضية في بيروت ، وهنا بدأت الحرب اللبنانية الفظيعة ، مع عمليات القصف الجوي الاسرائيلية بعد ظهر ٤ حزيران ١٩٨٢ . وفي مخيمي صبراً وشاتيلا ، الواقعين على بعد خطوات من هنا ، وجدت هذه الحرب نتيجتها الهائلة . وخلال هذين اليومين ، من ١٦ حتى ١٨ ايلول ، اكملت الاحداث دورتها .

لقد بدأ كل شيء « بسلام مزعوم للجليل » لكي ينتهي بواحدة من افظع المذابح ، والاكثر اثارة للرعب ، التي حدثت منذ الحرب العالمية الثانية » .

-٦-

الأحَد ١٩ أيـلول

غرَباء(١)
يقتلون غرَباء،
ويـجري إتهَام اليَهُود

١ — غرباء ، وفي الاصل غويز goys وهي كلمة عبرية تعني « من هو غير يهودي » .

— ملاحظة من « الانباء » —

صباح يوم الاحد ، كانت جثث الضحايا ما زالت ملقاة في الشوارع ، وتحت انقاض مخيمي صبرا وشاتيلا . وكانت رائحة وبائية تنبعث الى بعد مئات الامتار عن المخيمين . وكانت بعض الجثث ملقاة هناك منذ يوم الخميس ، تحت شمس محرقة . وقد تابع مسعفو الصليب الاحمر والجنود اللبنانيون ابحاثهم ، مكتشفين تحت الخراب ، وفي الباحات ، جثثا جديدة لرجال ونساء وشيوخ واطفال . ولحماية انفسهم كان المسعفون والجنود يلبسون اقنعة غازية سوداء ، وقفازات من المطاط . وكانوا يضعون جثث الضحايا في ارض عراء قرب مدخل شاتيلا .

وقد جرت اعادة تجميع الجثث قرب حفرة واسعة جدا ، وغطي بعضها بغطاء ، والبعض الاخر ظل عاريا . وكثير من الجثث كانت مشوهة بحيث لا يمكن التعرف الى اصحابها . وعند قدمي احدى تلك الجثث كان هناك الحبل الذي استخدم في تقييد صاحبها ... وفي بعض الاحيان ، كانت سيارة اسعاف تابعة للصليب الاحمر تصل ، وتسحب منها مجموعة جديدة من الجثث ، وكانت امرأة فلسطينية شابة ، في الاشهر الاخيرة من حملها ، تذهب من جثة الى اخرى ، املا بالعثور على زوجها ، أو على عضو اخر من عائلتها . وجميع الذين يلتقى بهم كانوا يعطون الانطباع بانهم خارجون من الجحيم .

كان البعض يبكون ، واخرون يرتجفون بكل فرائصهم ، واخرون ايضا مذهولون يتقدمون كأشخاص آليين . وبعد قليل ، ترتفع الصيحات ، والزمجرات الهستيرية للامهات اللواتي يعثرن على أولادهن بين القتلى ، ونساء يتعرفن على جثث أزواجهن ، واولاد ينهارون على الجثة التي يعثرون عليها ، وهي لامهاتهم او ابائهم ، ومنذ التعرف الى هوية جثة معينة ، يجري اخراجها ، ووضعها في كيس كبير من النايلون ، وينظم المسعفون سلسلة تقود الجثث المتعرف عليها الى حفرة واسعة جدا . وحينئذ يجري وضع الجثث الواحدة الى جانب الاخرى ، وكان رجال الصليب الاحمر ، بأعصاب باردة ودون تأثر ، مع امتداد صفوف الجثث ، يسجلون

اسماء اصحابها في سجل واحيانا تطلب بعض العائلات استعادة الرفات، لدفنه بصورة خاصة، حسب الطقوس الدينية، في المقبرة الاسلامية المجاورة (٢) .

وقد اصبح الصحافيون الان كثيري العدد .

وهم يذرعون المخيمين من طرف الى طرف اخر . وقرب احد الابنية، كانت بنت في الحادية عشرة من عمرها، وامها، تلزمان السكون، وعيونهما زائغة . وهما الناجيتان الوحيدتان من عائلة مؤلفة من ثمانية اشخاص، وحولهما لم يكن هناك شيء حي، وهمست البنت قائلة بلطف : « جميع الجيران قد ماتوا » .

وفي المساء يخلو المخيمان من الناس .

ان قسما كبيرا من السكان، الذين سيطر عليهم الرعب، فضلوا لمدة اسبوع اللجوء الى مختلف احياء بيروت، في الحدائق العامة او المدارس .

ان الفرق الطبية وفرق الاسعاف المكلفة بالابحاث وبعمليات الدفن الكثيفة، تضم، بالاضافة الى الجيش اللبناني، احدى عشرة هيئة وجمعية مختلفة، ومنها الصليب الاحمر الدولي، والصليب الاحمر اللبناني، والدفاع المدني، وحتى الفرق الكشفية . والتنسيق بين هذه الهيئات محدود، ان لم يكن منعدما .

لذلك فان تقديرات عدد الضحايا تختلف من مصدر الى اخر وكثيرا ما تكون متناقضة . ولن يعرف بلا شك ابدا الرقم المضبوط .

ان تحركات السكان غداة المذابح، والعدد الكبير من الجثث التي بقيت مدفونة تحت الانقاض، او في القبور المشتركة التي حفرها الكتائبيون، وعدد المفقودين الكبير، تجعل من الصعب وضع تقدير دقيق .

لقد تعاقبت الارقام منذ نهاية المجزرة . وفي ٢٢ ايلول، اشار بيان الصليب الاحمر الى انه تم العثور على ٦٦٣ جثة وجرى دفنها . وفي ١٤ تشرين الاول، استندت صحيفة « لوريان ــ لوجور » اليومية البيروتية الى مصادر حكومية لبنانية، في حديثها عن ٧٦٢ جثة اكتشفت في مخيمي صبرا

وشاتيلا ، وتتوزع اعدادها كما يلي : ٢١٢ جثة دفنت في حفر مشتركة ، ولم يتم تحديد هوية اصحابها ، و ٣٠٢ جثة تم تحديد هوية اصحابها وجرى احراقها من قبل فرق الاسعاف المحلية ، و ٢٤٨ جثة تم تحديد هوية اصحابها ودفنت بعناية الصليب الاحمر الدولي ، وحسب هذه المصادر نفسها ، فان حوالي « ١٢٠٠ جثة قد اخذتها عائلاتها وقامت بدفنها في قبور خاصة » ، وهذا ما يجعل عدد الضحايا قرابة الفي ضحية .

والى هذا الرقم للجثث الالفين التي تم العثور عليها ودفنها او احراقها ، بعد المجزرة ، من الضروري ان نضيف ثلاث فئات اخرى من الضحايا :

ـ الضحايا التي قام بدفنها المهاجمون ، في حفر مشتركة، اثناء المذبحة . ومن المستحيل معرفة عددها المضبوط ، ذلك لان السلطات اللبنانية قد منعت تماما فتح هذه الحفر ، والتقديرات هي غامضة جدا ، وتدور حول بضع مئات من الضحايا .

ـ الضحايا التي لم يتم استخراجها من زهاء ٢٠٠ منزل . وحول هذه النقطة ايضا ، فان التقدير هو صعب جدا . ويجري الحديث عن بضع مئات . وفي اليوم الاول من الابحاث ، تم العثور على ١١٥ جثة . وفي اليوم الثاني عثر على ٥٦ جثة . ولكن بعد بضعة ايام ، تم التخلي عن هذا النوع من البحث ، بسبب التعفن الشديد للجثث .

وبالنسبة لهاتين الفئتين الاوليين ، فان تقديرا لبضع مئات من الضحايا يعتبر « معقولا » ، بالنسبة لجميع الذين عكفوا على بيان هذه المسألة .

ـ وتبقى ، اخيرا ، مجموعة ثالثة : وهي مجموعة المفقودين . لقد قدرت « وكالة الانباء الفرنسية » عددهم بأكثر من الفين . ويتعلق الامر بجميع الذين اخذوا في الشاحنات بصورة عامة ، نحو مكان مجهول . والناجون منهم ليسوا وحدهم الذين قدموا شهادتهم . لقد اكد صحافي دانمركي بأنه شاهد ، مساء يوم الجمعة ١٧ أيلول ، خروج

شاحنة ملأى بالاشخاص من شاتيلا . وقد كتبت صحيفة « نيويورك تايمس » بأن الاوساط الدبلوماسية الاميركية تخشى من ان يكون هؤلاء الاشخاص قد اخذوا نحو الجنوب لتذبيحهم هناك .

وحتى ولو أن بعض الاشخاص المعتبرين مفقودين في البدء ، يعودون للظهور فيما بعد ، فيمكن اعتبار رقم بضع مئات من المفقودين رقما معقولا .

ومع مزج جميع الفئات ، نتوصل هكذا ، حسب هذه المعطيات ، الى رقم زهاء ثلاثة الاف ضحية ، ان ثلاثة الاف الى ثلاثة الاف وخمسماية من الرجال والنساء والاطفال ، جرى اغتيالهم خلال اربعين ساعة بين ١٦ و ١٧ و ١٨ ايلول عام ١٩٨٢ ، على مجموعة من السكان يبلغ عددهم عشرين الفا في المخيمين عشية المذبحة . ومن اصل الـ ٣٠٢ جثة التي حددت السلطات هويات اصحابها ، هناك ١٣٦ لبنانيا . ويعتقد ان زهاء ربع الضحايا هم لبنانيون ، وجميع الاخرين هم فلسطينيون .

وابتداء من الساعة ١١ ، يوم الاحد ، اتخذ الجيش اللبناني مواقعه في صبرا وشاتيلا . وقد وصل العسكريون اللبنانيون بقوة ، على متن وسائل لنقل القوات ودبابات ، واتخذوا مواقع للسيطرة على كل منطقة المخيمين ، ولدى وصولهم ، انسحب الجنود الاسرائيليون من القطاع كليا ، كما اخلوا مباني المدينة الرياضية ، حيث كان يمر ، منذ يوم السبت ، جميع السكان الذكور في المنطقة ، لكي تجري مراقبة تذاكر هوياتهم .

اذن لقد غادر الجنود الاسرائيليون تلك الاماكن . انهم ، وهم الذين كانوا يستغلون كل فرصة طوال هذه الحرب ، للتحدث الى الصحافيين ، اصبحوا بغتة صامتين . وقد كتب المراسل العسكري لصحيفة « معاريف » قائلا : « لم يسبق لي ابدا ان رأيت جنودنا صامتين اثناء هذه الحرب ، كما هم الان، لقد اصبحوا يسمعون اسئلتنا ولا يجيبون . ووحده همس نائب ضابط قائلا : « لقد كان ايلي جيفا على حق » . ان ايلي

جيفا ، كما نذكر ، هو ذلك الضابط الاسرائيلي الشاب الذي اختار الاستقالة من الجيش قبل ستة اسابيع ، معتبـــرا ان احتلال بيروت لا يمكن الا ان يؤدي الى كارثة يرفض الاشتراك فيهـــا .

ان ضابطا من الجيش اللبناني ، اتخذ موقعه عند مدخل مخيم شاتيلا ، قد قال مؤنبا صحافيا اسرائيليا : « كيـــف استطعتم ان تسمحوا للكتائب بالدخول والقيام بهذه المذبحة ، في حين وثقنا بكم ، وكنا متأكدين من انكم ستحمون سكـــان بيروت المدنيين ؟ كان ينبغي ان تخجلوا » . وحتى في الاحياء السكنية من المدينة ، كان الاسرائيليون يصطدمون بمظاهـــر عداء متزايدة ، وكان المارة يقولون للجنـــود الاسرائيليين : « ليس لكم ما تفعلونه عندنا ، اذهبوا من هنا ! » .

وطوال يوم الاحد ، واصلـــت الوحـــدات الاسرائيليـــة عمليات التمشيط والمداهمات في المدينة . وقد قام الجيـــش الاسرائيلي ، من جهة اخرى ، باحتلال « مركز الابحـــاث الفلسطيني » ، وهو مؤسسة ذات طابع علمي . وقام الجنود بتفتيش جميع طبقات المبنى ، واخذوا معهم ارشيفات المركز ووثائقه ، على متن سياراتهم ، وقرب مركز سباق الخيـــل ، احتل المظليون الاسرائيليون شقة ليلى خالد ، في الطبقـــة السادسة من احد المباني ، وقاموا بتفتيش جميـــع الغرف ، وصادروا صورا ووثائق ، ومنها جواز سفر ليلى . تاريـــخ ومكان الولادة : حيفا ، ١٩٤٦ .

وفي يوم الاحد ذاك ، نشرت الصحف اللبنانية على عدة صفحات صور الضحايا : وكانت مانشيت صحيفة « لوريان ـ لوجور » : « مذبحة رهيبة في صبرا وشاتيلا » وكانـــت مانشيت « النهار » مماثلة ، وكان العنوان الرئيسي لصحيفة « السفير » اليسارية : « مذابح فـــي المخيمات » ، امـــا « النداء » الصحيفة الناطقة باسم الحزب الشيوعي اللبناني ، فكان عنوانها الرئيسي في الصفحة الاولى : « افظع المذابح الصهيونية في المخيمات » . وقد نشرت صفحة كاملة مـــن الصور وعلقت عليها بكلمة واحدة وهي « النازيون » ونشرتها

باحرف كبيرة سوداء .

اما المسؤوليات فان السلطات اللبنانية تفضل القاءها كليا على ميليشيات سعد حداد ، حليف الاسرائيليين بلا قيد ولا شرط ، بل وحتى احيانا تلقيها على الاسرائيليين بصورة مباشرة ، لانهم هم الذين كانوا مسيطرين على المخيمين ، وبالتالي ، فهم يتحملون مسؤولية المذابح التي حدثت . ان رئيس الوزراء السابق صائب سلام يبريء الكتائب من اية تهمة وحين سئل عن زي « القوات اللبنانية » الذي كان يلبسه اغلب رجال الميليشيات الذين هاجموا المخيمين ، اعتبر صائب سلام ان ذلك كان « تنكرا لاثارة الاضطرابات بين المسلمين والمسيحيين » .

ان الشيخ امين الجميل ، الذي جرى انتخابه في ٢١ ايلول رئيسا للجمهورية اللبنانية بأكثرية ساحقة — ٧٧ صوتا و ٣ اوراق بيضاء — قد كذب اي اشتراك للكتائب و«القوات اللبنانية » في المجزرة ، وهو في نقاش خاص مع بعض الدبلوماسيين ، اتهم اسرائيل بانها مسؤولة بصورة مباشرة عن المذابح .

وما من تيار سياسي لبناني اتهم الكتائب ، حتى ولو كان كثير من السياسيين ، يعترفون ، على حدة ، بأنهم يعرفون المسؤولين عن المجزرة (٣) .

ان المصالحة الوطنية ، التي يتمناها الجميع لوضع حد للاحتلال الاسرائيلي ، وضمان استقلال لبنان ووحدته ، تأتي قبل اي شاغل اخر . وحتى الامين العام للحزب الشيوعي اللبناني ، جورج حاوي ، قد اجتنب اية ادانة علنية لخصومه التقليديين الكتائبيين ، وهو قد اتهم اسرائيل ، التي تسعى ، حسب قوله ، « لاثارة اللبنانيين بعضهم ضد البعض الاخر » ، بالقائها مسؤولية المذابح على عاتق القوات اللبنانية . كما أن صحيفة « السفير » تبريء حزب الكتائب وتقول ان اللبنانيين يميلون لان يأخذوا مأخذ الجد التكذيب الذي اصدرته « القوات اللبنانية » وقد فسر الكاتب اللبناني المسيحي سمير فرنجية هذا الاجماع كما يلي :

اولا : ان الوحدة الوطنية الاسلامية ـ المسيحية قد اصبحت من الان فصاعدا اكثر ضرورة منها في اي وقت مضى ، ويجب بذل كل شيء لاجتناب نزاع بين الطوائف ، يمكن أن تستغله اسرائيل .

ثانيا : أن اتهاما مباشرا للكتائب سوف يعني مرشحها للرئاسة ، امين الجميل ، في الانتخابات القادمة المقررة للاسبوع المقبل ، فاتحا بذلك الطريق واسعة امام مرشح اسرائيل ، كميل شمعون ، الذي هو مستعد ـ بعكس امين الجميل ـ لان يوقع فورا معاهدة سلام منفصل مع اسرائيل .

ثالثا : باتهام اسرائيل بالمذابح ، فان مطلب انسحاب للقوات الاسرائيلية من لبنان يصبح اكثر ضرورة . والحال ، فان الهدف الاولوي يجب ان يكون التخلص من الاسرائيليين .

وهكذا فان جميع اللبنانيين قد تفاهموا لكي لا تتوصل الى اية نتيجة لجنة التحقيق اللبنانية حول مذابح صبرا وشاتيلا ، هذه اللجنة التي يرئسها المدعي العام العسكري اسعد جرمانوس ، والتي يجب ان تبدأ اعمالها في ١٨ تشرين الاول ١٩٨٢ ، فهل ان الضابط الكتائبي المدعو ميشال سيأتي لتقديم افادته ؟ يمكن الشك في ذلك ، ومع ذلك فانه هو بالذات الذي اعترف بصراحة ، في مقابلة جرت معه في ٣ تشرين الاول واذاعها التلفزيون الاسرائيلي ، بأنه قام هو شخصيا باغتيال فلسطينيين في صبرا وشاتيلا . ان ميشال ، الشاب في الرابعة والعشرين من العمر ، ومهنته مهندس ، وعضو في الكتائب منذ ثماني سنوات ، هو احد اعضاء اركان الياس حبيقة وقد سأله ـ اي ميشال ـ مراسل التلفزيون الاسرائيلي ، دان سيماما (وهو ابن المرحوم اندريه سيماما ، المراسل السابق في القدس لصحيفة « لوموند » الفرنسية) سأله : هل اشتركت في قتل نساء واطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا فأجاب : « ماذا يعني قتل النساء ؟ انها قصص تروى عبثا ! وطوال اعوام ، سوف اواصل قتل فلسطينيين ، وشخصيا ، قمت بقتل ١٥ فلسطينيا في المخيمين ، وانني لم انته بعد ، انني ابغضهم ، ولا اعتبر نفسي قاتلا ، سوف يجري

قتل الاف ايضا ، واخرون سوف ينفجرون من الجوع ، الى ان يرحلوا عن لبنان » . هذه المقابلة اجراها ستوديو التلفزيون الاسرائيلي في بيروت الشرقية ، وكان ميشال ، الذي عني بتصفيف شاربه ، هادئا تماما . وهو يتكلم بلغة فرنسيـــة جيدة ، وقد اضاف ، رافضا ذكر الوحدات المضبوطة التـــي اشتركت في المجزرة : « انا سعيد بما جرى في المخيميـــن ، والعالم مسؤول عما جرى هناك » . وقد روى دان سيماما ان محدثه ، بعد نهاية المقابلة ، قد قال على حدة : « ان الفلسطيني الجيد هو الفلسطيني الذي مات . وافضل شيء فعلتـــه اســـرائيل ، هو مذبحة دير ياسين » .

ان الاسرائيليين ، من جهتهم ، يعرفون اسماء الضبـــاط الكتائبيين الذين دخلوا الى المخيمين بين ١٦ و ١٨ ايلول . وقد قال المراسل العسكري لصحيفة « معاريف » الاسرائيليـــة اليومية ، غداة اكتشاف المذابح : « ان الجيش الاسرائيلي لا ينوي في الوقت الحاضر نشر الاسماء ، خوفا من زيادة الهوة مع العناصر المسيحية في لبنان » ، ومـــن جهتها ، فـــان « القوات اللبنانية » قد قررت ان تعين « لجنة للتحقيـــق » موازية للجنة الجيش اللبناني ، وقد عهدت برئاسة اللجنـــة الى . . . الياس حبيقة .

ومن العالم بأسره ، ارتفعت احتجاجات ساخطة ، تربط بوضوح متفاوت المذابح بدخول القوات الاسرائيلية الـــى بيروت الغربية وجميع هذه الاحتجاجات تظهر بصورة بديهية التناقض بين الاسباب التي ذكرتها اسرائيل لهـــذا التدخل الجديد ، المخصص رسميا « للحيلولة دون اهراق الدماء » ، ونتائج التدخل بالمذابح في مخيمات اللاجئين . وفي اسرائيل، اثناء يوم الاحد ، كانت ردود الفعل الرسمية قد حددت كلهـــا هدفا واحدا وهو : تبرئة الذات ، وغسل اسرائيل من ايـــة تهمة . وقد نشرت السلطات المدنية والعسكرية الاسرائيلية ، واحدة بعد الاخرى ، عدة روايات ، احيانـــــا متناقضة ، وتتضمن اكاذيب سارعت الصحافة لانتقادهـــا وفضحها . وحسب الناطقين الرسميين الاسرائيليين فـــان اسرائيل

والرائد سعد حداد غريبان كليا عن المذابح ، وفي مرحلة اولى ، جرت محاولة لتبسيط الحادث . وفي مساء يوم الاحد، اذاع التلفزيون مقابلة مسجلة مسبقا مع رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ، رفائيل ايتان ، أعلن فيها ان المذبحة لم تبدأ الا مساء يوم الجمعة . ومن جهة اخرى ، كما تضيف مصادر عسكرية ، « فان المهاجمين قد دخلوا من ثغرة في القسم الشرقي من المخيم ، حيث من المفروض أن يكون الجيش اللبناني مسيطرا على تلك الثغرة » . وقد سارع الصحافيون الاسرائيليون الى الملاحظة بأن هذا البيان يتناقض كليا مع تصريحات اربيل شارون ورفائيل ايتان ، التي ظهرت في الصحافة يوم الجمعة السابق ، والقائلة بأن « مخيمات اللاجئين في بيروت الغربية هي مطوقة تماما ومسدودة من قبل الجيش الاسرائيلي » . ويضيف الصحافيون الاسرائيليون بأن الجميع يعرفون اليوم ، والبراهين كثيرة في هذا المعنى ، ان رجال الميليشيات الكتائبية قد دخلت من جنوبي المخيمين ، بموافقة الجيش الاسرائيلي . وقد وافقت الحكومة الاسرائيلية على القرار مساء يوم الخميس .

وفي بداية السهرة ، عقد في بيروت مؤتمر صحفي مرتجل ، بحضور الجنرال أيتان ، وقد نفى هذا اية مسؤولية في التجاوزات المرتكبة من قبل الكتائبيين . وعلى سؤال صحافي يريد أن يعلم ما اذا كان الاسرائيليون هم انفسهم الذين رخصوا للكتائب بالدخول الى المخيمين ، أجاب أيتان ، وهو متوتر جدا : « نحن لا نصدر الاوامر الى الكتائبيين ، ونحن لسنا مسؤولين عنهم ، الكتائبيون هم لبنانيون ، ولبنان بلدهم ، وهم يعملون كما يروق لهم . لقد ذهب الكتائبيون للقتال في هذا المخيم ، هناك في شاتيلا ، طبقا لخط سلوكهم ، اذا كان يمكن تسميته كذلك ، في الحرب . اننا لم نكن نعرف حقا ماذا كان يحدث . كان الليل سائدا . وكان يعتقد ان قتالا طبيعيا يجري . وحين طلع النهار ، ورأينا ما حدث وما يمكن أن يحدث أيضا ، تدخلنا بسرعة ، وخرج الكتائبيون » (تصريح أوردته وكالة الاسوشيتد برس) .

ثم انتقد (ايتان) رئيس اركان الجيش اللبناني ، الـذي رفض الدخول الى المخيمين ، وكذلك الاميركيين الذين جعلهم رئيس الاركان الاسرائيلي مسؤولين عن المجازر . وهـذا الموقف ليس جديدا . فالجنرال ايتان سبق له في مقابلته التلفزيونية أن اتهم « الاميركيين » (في الواقع ، المبعوث الخاص موريس درايبر) بأنهم عارضوا التنسيق بين الجيش الاسرائيلي والجيش اللبناني ، وهذا ما منع هذا الجيش الاخير من الدخول الى المخيمين .

وفي هذا الصدد ، نعلم اليوم ان رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان قد رفض اي تعاون مع الجيش الاسرائيلي بعد دخوله الى بيروت الغربية .

وفي اسرائيل ، كان اليوم الثاني من عيد راس السنة اليهودية . وكانت جميع الاماكن مقفلة ، والشوارع هادئة بصورة استثنائية . ولم تكن هناك صحف ، لكن الانباء ، التي كان الراديو يذيعها كل ساعة ، كانت تستثير الحيرة والذهول .

وبعد قليل ، دوت الاتصالات الهاتفية الاولى عند مناضلي « شالوم اخشاف » (حركة السلام الان) . وتقرر بسرعة اقامة تظاهرة ، عند الظهيرة ، امام مقر رئيس الوزراء في القدس ، للاحتجاج ضد سياسة ادت ، في نظرهم ، الى المجازر . وكانوا زهاء الف : من علماء ، وفنانين ، ومثقفين ، يرافقون مناضلي الحركة . والى جانبهم كان بعض نواب الجبهة العمالية ، بل وايضا عدة رجال دين . ان بعض الاهل الذين فقدوا ولدا في القتال اثناء الحرب اللبنانية قد وصلوا الى مكان التجمع . وكان المتظاهرون يرددون شعارات « بيغن ارهابي » « بيغن قاتل » « بيروت = دير ياسين ١٩٨٢ » (٤) « ليسقط شارون ، جزار قبية » (٥) . أن التظاهرة أمام مسكن مناحيم بيغن ، قد تم تفريقها بعنف شديد بضربات الهراوات وبالغاز المسيل للدموع .

وقد قال الشاعر حاييم غوري : « لست ابكي بسبب الغازات ، بل ابكي لقتل الاطفال والنساء والعائلات في بيروت » ، وقربه قال باكيا البروفيسور ابشتاين ، وهو

عجوز في الثمانين من العمر : « انني خجل لانني اسرائيلي ، بعد ما حدث في بيروت . ان هذا يذكرني جدا بالنازيين الذين جاؤوا بالاوكرانيين الى المعزل (الغيتـــــو) لتذبيح اليهود . ولست افهم كيف امكن هذا ان يحدث لنا » .

وخلال فترة بعد الظهر ، ضمت تظاهرة اخرى في تـــل ابيب مئات من الاشخاص ، اغلبهم شبان من حركة « السلام الان » ، وقامت الشرطة بقمع هذه التظاهرة بقساوة . وهناك ايضا ، كان يمكن سماع نفس الشعارات « بيغن قاتـــــل ومجرم » و « لا دير ياسين بعد اليوم » . وقد وزعت اللجنة المناهضة للحرب اللبنانية منشورا جاء فيه : « أن الــــــذي اجتاح لبنان ، والذي ادخل الجيش الاسرائيلي الى بيـــروت الغربية ، والذي تحالف مع القتلة الكتائبيين وساعدهـــم على الدخول الى مخيمات اللاجئين ـــ هذا الرجل هو مسؤول عن المجزرة ضد الفلسطينيين . وان الذي نزع سلاح سكــــــان بيروت الغربية وسلمهم لاعدائهم ، ـــ هذا الشخص هــــو مسؤول عن المجزرة . والذي اتخذ القرار « بفرض النظام في بيروت » ـــ هذا الشخص هو مسؤول عن المجزرة التـــي ارتكبها « الحراس » الذين اقامهم . ان بيغن وشارون وايتان ، مسؤولون كليا عن اغتيال مئات من الشيـــوخ والنســـــاء والاطفال » (هذا المنشور اعادت نشره في اليوم التالي ، في ٢٠ ايلول ، صحيفة « هاآرتس ») .

لقد اذاعت الانباء المتلفزة ، في الساعة ٢١ ، تصريحـــا لرئيس المعارضة العمالية شيمون بيريز ، الذي اطلق دعوة لاستقالة مناحيم بيغن والجنرال شــــــارون ، وللانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من بيروت الغربية ، لقد انتهـــى عيد رأس السنة اليهودية ، واستعادت الحياة مجراها فـــي كل اسرائيل . وفي الساعة ٢٢ ، اجتمعت الحكومـــة فـــي جلسة استثنائية . وافتتح رئيس الوزراء النقاش وصــــرح قائلا : « ان المسألة المطروحة فــــي جدول الاعمال ليست مذبحة بيروت ، بل « الهجوم الجبهوي ضد دولة اسرائيــــل وشعبها » وهو باستخدامه المبدأ القديم القائل بـــأن افضل

دفاع هو الهجوم ، صرح امام الوزراء المجتمعين ، قائلا : ان « غرباء » يقتلون « غرباء » ويجري اتهام اليهود ! » .

وحينئذ قام وزير المواصلات موردخاي زيبوري بانتقاد عنيف للاحداث التي جرت منذ دخول الجيش الاسرائيلي الى بيروت الغربية . وقال : « لقد تدخلنا لاجل اجتناب الفوضى . وكنا القوة العسكرية الوحيدة في الساحة . لذلك ، من الوجهة الدولية ، تقع مسؤولية ما حدث علينا » . ان الوزير اسحاق بيرمان ، الذي استقال بعد ذلك بوقت قصير ، قد طلب اقامة لجنة تحقيق . واجابه بيغن قائلا : « ان اقامة لجنة تحقيق من قبل اسرائيل سوف تعتبر في العالم بمثابة اعتراف بالذنب . ان الجيش الاسرائيلي لم يرتكب مجازر . وهذه مسألة داخلية لبنانية » . واخيرا تبنت الحكومة بطلب من رئيس الوزراء بيانا يغسل اسرائيل من اية مسؤولية . كما اصدر بيغن الامر بنشر هذا البيان ، على صفحة كاملة ، في صحيفتي « نيويورك تايمس » و « واشنطن بوست » وهي عملية تكلف حوالي ٥٤ الف دولار . ونحن ننشر هنا النص الكامل لهذا البيان الذي وضع له عنوان « مؤامرة دموية » :

« اثناء عيد رأس السنة ، جرت مؤامرة دموية حقيقية ضد الدولة اليهوديةوحكومتها، وضد جيش الدفاع الاسرائيلي. وفي موقع بعيد عن موقع هذا الجيش ، دخلت وحدة لبنانية الى مخيم للاجئين ، حيث كان يختبيء ارهابيون ، بغية اعتقالهم . وهذه الوحدة قد هاجمت السكان ، واوقعت العديد من الضحايا . ونحن نسجل هذا الواقع بأسف وحزن عميقين . ومنذ ان عرف الجيش الاسرائيلي ما حدث في مخيم شاتيلا ، وضع حدا لعمليات قتل المدنيين الابرياء ، وارغم الوحدة اللبنانية على مغادرة المخيم » .

« لقد اظهر السكان المدنيون انفسهم جهارا امتنانهم لعمل الانقاذ هذا الذي حققته قوات جيش الدفاع الاسرائيلي. ان جميع الاتهامات ، المكشوفة او الضمنية ، والقائلة بأن الجيش الاسرائيلي يحمل اية مسؤولية في هذه المأساة الانسانية ، هي بدون اساس ، وترفض الحكومة هذه

الاتهامات بازدراء . والواقع انه لولا تدخل القوات المسلحة الاسرائيلية ، لكان عدد الضحايا اكبر ايضا . ومن جهة اخرى ، فان الجيش الاسرائيلي قد قام بالعمل طوال يومين في بيروت الغربية ، ضد الارهابيين ، ولم تقدم اية شكوى بمس السكان المدنيين » .

« وفي هذه الاثناء ، تبين ان الارهابيين قد خرقوا اتفاق الانسحاب ، وتركوا في بيروت ليس فقط الفي ارهابي ، بل تركوا فيها ايضا مستودعات هائلة من الاسلحة ، تضم دبابات ، ومدافع ، ومدافع هاون ، وذخائر من جميع الاصناف بكميات ضخمة . كل هذا كان يهدف الى متابعة اعمال ارهابية دموية ضد اسرائيل وشعوب اخرى ، انطلاقا من بيروت الغربية .

وبالرغم من الحط من سمعتنا ، الذي وجد له صدى داخل اسرائيل بالذات ، ندعو الشعب الاسرائيلي للالتفاف حول حكومته المنتخبة ، التي تناضل لضمان الامن والسلام لاسرائيل ولجميع سكانها . ولن يتمكن احد من اعطائنا دروسا في الاخلاق واحترام الحياة الانسانية ، وهي قيم قادتنا والتي على اساسها سنواصل تكوين اجيال من المقاتلين في اسرائيل » (٦) .

وفي الوقت نفسه ، جرى نشر صور قادمة من المخيمين ، على شاشات التلفزيون في العالم بأسره . ان الصحافي الاميركي جورج وايل ، المشهور بأنه مؤيد لاسرائيل ، قد سمى المذبحة « بابي يار اسرائيلية » (٧) وقد قال يهود اميركيون اجرى معهم حديثا مراسل للتلفزيون الاسرائيلي ، انهم يخجلون اليوم لكونهم يهودا . وقد كتبت صحيفة « جويش كرونيكل » ، وهى الناطقة الصحفية الرئيسية باسم الطائفة اليهودية البريطانية تقول : « بعد « تنظيف » مخيمات بيروت، يجب ان تنظف الان اسرائيل من جميع الذين رخصوا بهذه الفظائع او تورطوا فيها ، فهي تجعلنا نخجل نحن جميعا » .

-٧-

الاثنَين ٢٠ أيلول

"جَرِيمَة حَرب"

في بَيروت



ان وحدات من الجيش اللبناني ، مؤلفة مـن ١٥٠٠ جندي ، يدعمها زهاء اربعين من السيارات المصفحة، أقامت « حاجزا أمنيا » حول المخيمين . وطوال الليل، تتابع انتشار الجيش اللبناني في الاحياء المتاخمة . وصبـاح الاثنين ، لم يعد يرى هناك جندي اسرائيلي واحد .

وكانت رائحة الموت تطفو فوق المخيمين ، حيث استمر اكتشاف نبش جثث جديدة . وعند مدخل شاتيلا ، كان اكثر من ماية جثة ممددة على الارض ، قرب حفرتين مشتركتين . وكان كثير من الجثث في مرحلة الاهتراء ، واصبح من المستحيـل التعرف الى هوية أصحابها .

وانزلت الجثث الى هذه الحفر الواسعة جدا ، والقائمة بعضها الى جانب البعض الاخر ، قبل ان تغطى بالكلس الحي. ان عمليات الدفن ، التي بدأت بالامس ، الاحد ١٩ أيلول ، قد استمرت عدة ايام بعد ذلك .

ودون انتباه الى المسعفين ، كان من بقي من سكـان المخيمين يهيمون أيضا عى وجوههم ، أملا بالعثور على قريـب مفقود ، أو على شيء ثمين ، وكان رجل مسن ، تصحبه امرأة وولدان ، يفتش في الانقاض عما كان منزله في شاتيلا ، وكانت صرخاتهم تصم آذان المسعفين القريبين منهم . ومع ذلك لـم يجرؤ أحدهم على توجيه الكلام اليهم . وفي مكان أبعد قليلا ، عاد شاب لمحاولة العثور على جثة شقيقه ، ووراء كل جدار ، كان يكتشف جثه جديدة . وقرب كوخ مهدم ، كان ثلاثة شبان يتبادلون الهمس . وحين اقترب منهم أحد الصحافيين ، قـال أحد الشبان : « اننا لن نثق أبدا بعد اليوم بوعود الاخريـن . ولن نترك مصيرنا وأمننا للاخرين . وسوف نهتم بذلك نحـن بأنفسنا » . .

وما زال سكان المخيم مذعورين بفعل الاربعين ساعة من المذبحة التي عاشوها . وكان يكفي ان تظهر شاحنتان للجنـود اللبنانيين ، المرتدين بذلات زرقاء مخضرة ، المختلفة عن بـذلات العسكريين الاخرين (الاسرائيليين والكتائب) لايقاظ الرعـب داخل السكان . وسرعان ما انتشرت اشاعة « ان رجـال

ميليشيا سعد حداد قد عادوا ! » . واصيب مئات من الاشخاص بما يشبه الجنون ، وفروا نحو الشمال . وبعد الظهر فقط ، بعد ان طمأنتهم السلطات ، قبلوا بالعودة الى المخيم .

وفي بيروت الغربية ، كانت حركات انسحاب القوات الاسرائيلية ملحوظة منذ صباح الاثنين في عدة قطاعات من الوسط حتى التخوم . وبعد تسعة أيام ، في ٢٩ أيلول ، تحت ضغط الاميركيين القوي ، انسحب الاسرائيليون كليا من بيروت ، بما في ذلك من المطار الدولي ، لكي تحل محلهم القوة المتعددة الجنسيات . وبانتظار ذلك ، واصل الاسرائيليون التفتيش والتحقيق في الهويات ، والبحث عن الاسلحة ومستودعات الذخيرة . وكانوا يجتازون مختلف الاحياء ، داعين بواسطة مكبرات الصوت ، السكان لتسليم اسلحتهم الى الجيش الاسرائيلي . وكانوا يجتازون الشوارع بسيارات عسكرية ، أو حتى مدنية ، تحمل لافتات اسرائيلية ، وفي أيديهم قوائم بأسماء . وكان يرافقهم أحيانا بعض المخبرين . وكانوا يمرون ببطء ، ويعاودون المرور ، امام مكاتب وصحف ومنازل المسؤولين في منظمات اليسار اللبناني ، المتعاطفين مع القضية الفلسطينية . وأحيانا كان الاسرائيليون يتوقفون ، ويوجهون سؤالا ، لمعرفة ما اذا كان فلان موجودا . وفي حالة غيابه ، كانوا يحددون له موعدا بعد ساعة . وكان يمكن ان يلاحظ ، في بعض السيارات الاسرائيلية ، شخص مدني ، معصوب العينين ، ويداه مقيدتان خلف ظهره . ولا يعرف أحد كم من اللبنانيين والفلسطينيين جرى اعتقالهم في بيروت ، وكم منهم ما زال معتقلا ، وكم منهم جرى اطلاق سراحه ، ولا الى اين اخذ الباقون . وتتحدث الصحافة اللبنانية عن الف الى ألف وخمسمائة معتقل (١) .

وقد تابع جنود اسرائيليون افراغ المكتبة الفنية لمركز الابحاث الفلسطينية(١) التابع لمنظمة التحرير والقائم في بيروت الغربية .

وجميع محتويات المكتبة ، من كتب ووثائق ، قد كدست في شاحنات خاصة ، وكانت سيارة جيب ودبابة تقومان بتغطية

العملية . ان الضابط الاسرائيلي الذي يقود العملية ، قد أجاب على سؤال لصحافي لبناني بان جنوده يأخذون « كل ما اعتبره مفيدا » ، وأضاف قائلا : « اننا نحن أهل الكتاب ، ونحن نحترم الكتب احتراما كبيرا » . وحين لفت الصحافي نظره الى ان هذا المركز هو مركز للابحاث ، أجاب الضابط: « هذا مركز تجسس. ولا يوجد مثقفون فلسطينيون ، هناك فقط جواسيس. والبرهان هو اننا عثرنا على سير لضباط اسرائيليين » . وكانت الحياة اليومية في بيروت الغربية قد أصبحت صعبة اكثر فأكثر ، اذ لم يعد يصل اليها التموين منذ خمسة ايام ، وقد حرمت العاصمة من الكهرباء ، ومن المياه جزئيا . ومن جهة اخرى . فان نقص المازوت يهدد بأن يؤدي الى اقفال اخر مستشفى كبير كان ما زال يعمل ، وهو « مستشفى الجامعة الاميركية » .

وفي اسرائيل ، صدرت الصحف لاول مرة منذ اعلان المذابح . ووضعت هاآرتس عنوانا كبيرا على اول صفحة : « جريمة حرب في بيروت » . وقد بدأ مراسلها العسكري ، زيف شيف ، مقاله بهذه العبارات : « في مخيمات اللاجئين في بيروت ، ارتكبت جريمة حرب ، وقد قتل الكتائبيون مئات ، ان لم يكن اكثر ، من الشيوخ والنساء والاطفال ، وذلك بالضبط على غرار المذابح ضد اليهود . وليس صحيحا اننا لم نعلم بهذه الجريمة. كما يدعي الناطقون الرسميون الاسرائيليون ، الا يوم السبت ظهرا ، اثر تقارير المراسلين الاجانب المتمركزين في بيروت . وقد علمت انا نفسي بالجريمة صباح يوم الجمعة ، وقد ادليت بمعلوماتي الى شخصية اسرائيلية مهمة ، وانا أعلم انها قد قامت بالعمل فورا . وهذا يعني ان المذبحة قد بدأت مساء الخميس ، وما علمته صباح الجمعة قد عرفه بالتأكيد اشخاص قبلي » .

ويمكن ان نقرأ في افتتاحية هذه الصحيفة نفسها (هاآرتس) : « ان الظروف التي ارتكب فيها هذا العمل الفظيع تثبت بصورة لا تدحض مسؤولية اسرائيل ، وهي مسؤولية غير مباشرة ان لم تكن مباشرة ، في موت مئات من الاشخاص العزل (...) ان اقالة رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي، الجنرال رفائيل اتيان ، ووزير الدفاع السيد اريل شارون ، اللذين

يشكلان جزءا من الفريق الذي يتخذ القرارات على اعلى مستوى ، هي الشرط الاول والضروري الواجب تحقيقه لكي نتمكن من رفع رؤوسنا ، والنظر بعضنا الى بعض ، وان ننظر في عيون العالم بأسره » .

وقد وضعت صحيفة « دافار » اليومية العمالية عنوانا كبيرا هو « العار في بيروت » ، وكتبت تقول : « من الصعب ان يكون المرء اسرائيليا (...) ونحن لن نستطيع ان نغسل ايدينا من هذه اللطخة . ان ما فعله قتلة دير ياسين ، وقائد قبية ، والرجل الذي خفف العقوبة عن دانيال بنيتو (١) قد لوث اليوم الشعب الاسرائيلي بأسره » .

وقد تحدثت مديرة صحيفة « حنا زيمير » عن « الحكومة النذلة التي جرت دولة اسرائيل الى افلاس خلقي » ، واضافت قائلة : « واذا ما ارغمت الحكومة الجيش الاسرائيلي على البقاء في بيروت ، واذا واصلت العابه دور الدركي في هذه البقعة من العالم ، فلن يعيد بطاقاتنا كاحتياطيين ، بل سيأتي عما قريب اليوم الذي سنعيد فيه بطاقات هويتنا ، لان ما جرى في بيروت ليس هو من هويتنا (١) » .

وقد كتبت صحيفة « آل هاميشمار » (الناطقة باسم المابام) قائلة : « ان هذه المجزرة قد جعلت من حرب لبنان اكبر كارثة نزلت بالشعب اليهودي منذ المجزرة الهتلرية » .

وحتى صحف المساء الشعبية ، التي تؤيد بصورة عامة طروحات النظام حول مسألة العلاقات مع العرب ، لم تسع للفرار من المسؤولية ، وقد اعتبرت « يديعوت احرونوت » و « معاريف » كلاهما ان اسرائيل تحمل ، بصورة غير مباشرة، مسؤولية معينة في المذبحة .

وفي داخل الاحزاب اليمينية ، بدا الارتباك ظاهرا تماما ، ويمكن ان نسمع العديد من قادتها يرددون : « الافضل عدم الكلام عن مجزرة بيروت ، فالكلام يلحق الضرر باسرائيل » ، واخرون ، كما لو انهم يريدون تبرير انفسهم ، صرحوا قائلين : « ليست هذه مع ذلك هي اول مرة تحدث فيها مذبحة في الشرق الاوسط » ! لكن ردود الفعل هذه لم تتوصل الى كبح سخط الاوساط المختلفة .

وقد نشرت الصحف يوم السبت ذاك وفي الايام التي تلته مقالات وتصريحات عنيفة بصورة لم يسبق لها مثيل . وقد كتب اسرائيل زامير ، ابن اسحاق باشينيس سنجر ، الحائز على جائزة نوبل ، قائلا : « حتى هذا اليوم ، كانت كلمة « مجزرة » ذات معنى يخصنا نحن اليهود بصورة مباشرة ، بصفتنا ضحايا ، وقد « وسع » رئيس الوزراء بيغن مدلول هذه الكلمة : لقد كانت هناك مذابح بابي‌يار ، وليديسيا ، واورادور ، وهناك الان صبرا وشاتيلا » .

ان الكاتب اموسى كينان ، المعاون في صحيفة « يديعوت احرونوت » قد كتب فيها يقول ان دفعة واحدة ، ايها السيد بيغن ، فقدت ملايين من الاولاد اليهود الذين كانوا كل ما تملكه على هذه الارض . ان ملايين اطفال اوشوتينر لم يعودوا لك ، لقد بعتهم بدون ربح » .

وردا على وزير الداخلية جوزيف بورغ الذي صاح : « لقد قتل مسيحيون مسلمين ، فأين هي مسؤولية اليهود ؟ » اجاب الروائي ايزهار ــ سميلانسكي ساخرا : « لقد جرى اطلاق وحوش جائعة في الساحة . وقد افترست هذه الوحوش اشخاصا . اذن فالوحوش هي المسؤولة ! انها هي التي افترست ، اليس كذلك ؟ من كان باستطاعته ان يتوقع ، حين فتحنا لها الباب ، ان تلك الوحوش سوف تفترس اشخاصا ؟»

لقد اورد المراسل العسكري لصحيفة « معاريف » ياكوف اريز ، في مقاله بضعة ابيات شهيرة للشاعر الوطني اليهودي حاييم ناهمان ــ بياليك ، التي كتبها اثر المذبحة ضد اليهود ، فى كيشينيق عام ١٩٠٣ ، وهي تصف المشهد الذي رآه بياليك غداة المذبحة . وفي اسرائيل يتعلم الجميع هذه القصيدة (في مدينة المجزرة) عن ظهر قلب في المدرسة .

ان غابي زوهار ، مراسل اذاعة « صوت اسرائيل » قد عاد مضطربا من زيارته لمخيمي صبرا وشاتيلا وصرح قائلا : « وسواء اكانت هناك لجنة تحقيق أم لم تكن ، يبقى اننا كنا نعلم بوجود مذبحة ، كان باستطاعتنا الحيلولة دونها ، لكننا لم نفعل » .

وفي الصحف الاسرائيلية ، في « بريد القراء » كان هناك

سيل من الرسائل ، وقد كتب ، مثلا ، جندي شاب من الاحتياط وهو افيشاي غروسمان يقول : « ان اكداس الجثث في مخيمات بيروت قد جعلتني لاول مرة اخجل من انتسابي الى الجيش الاسرائيلي » (آل هاميشمار) .

اما بيني باراباش ، الضابط الاحتياطي ، قد كتب في صحيفة « هاأولام هازيه » يقول : « على راس جيشنا يوجد رجل سمعته شخصيا يقول مرارا عديدة : ان العربي الجيد ، هو العربي الميت » وقد اعلن الروائي اسحاق اورباز قائلا : « انني لن اغفر لكم ابدا انكم نشرتم الخراب في بلد احبه ، في هجمة مسعورة فظيعة من الحماقة والموت ، وفي مخيمي صبرا وشاتيلا ، جرى اغتيال امي وابي مرة ثانية ، بعد موتهما في المجزرة الهتلرية » .

ان المؤرخ واستاذ العلوم السياسية زيف سترنهيل ، الاستاذ المحاضر في جامعة القدس العبرية قد قال امام تلامذته:

« ان الحكومة والمجتمع الاسرائيليين يحملان مسؤولية معنوية، وسياسية وحقوقية في جريمة الحرب في بيروت ، فاذا كنا لم نرتكب هذه الجريمة نحن انفسنا ، فلا جدال في اننا قد رخصنا لها » .

ان ردود الفعل هذه ليست من عمل اشخاص هامشيين.

فقد بين استفتاء لمعهد غالوب ، اجري على عينة من ١٧٠٠ شخص ، ان ٦٠ بالمئة من الاسرائيليين يعتبرون الحكومة الاسرائيلية مسؤولة ، بصورة او باخرى ، عن مذابح بيروت ، وبالنسبة لـ ٨٠ بالمئة منهم ، الحقت الحرب اللبنانية الضرر باسرائيل (نشرت نتيجة هذا الاستفتاء في صحيفة ها آرتس في ٢٣ ايلول) .

وفي اليوم التالي ، الثلاثاء ، عقد الاجتماع الاسبوعي للحكومة الاسرائيلية ، ولم يجر اي نقاش جديد حول المذابح . وكان في جدول الاعمال مسألة الانسحاب من بيروت . وطلب ارييل شارون ابقاء الجيش الاسرائيلي بضعة اسابيع اخرى في المدينة ، وقال : « ان بيروت هي المفتاح نحو الشمال » ، وقاطعه زيبوري : « ماذا تقصد بالشمال ؟ فهل سوف نستولي على طرابلس ؟ وعلى زحلة ؟ » .

وقد طلب زيبوري الانسحاب ، باسرع وقت ، من بيروت . وتحدث في المعنى نفسه الوزراء اوزان (تامي) وبن بوراث (تيليم) وبرمان (الليبراليون) وهامر (الحزب الوطني الديني) ، ولاحظوا ان الدخول الى بيروت الغربية ، واكثر من ذلك ايضا مذابح صبرا وشاتيلا ، قد شوهت بصورة خطيرة صورة اسرائيل في العالم ، بما في ذلك بين يهود الشتات (المهجر) ـ الرياسبورا ـ وفي صدد تعيين لجنة للتحقيق القضائي ، استجابت الحكومة للمعارضة العنيدة من جانب مناحيم بيغن .

وفي اليوم التالي ، دعي الكنيست لاجتماع استثنائي . والقى رئيس الحزب العمالي ، شمعون بيريز ، احد خطاباته الكبرى وصاح قائلا :

« ان الامة اليهودية تواجه ضميرها ، ولدينا شعور بانه عبر الكتل من الاسمنت التي غطت اجساد الاطفال والنساء والشيوخ ، يظهر انهيار خلقي . ان الارض ترتج تحت اقدامنا (...) ، ان السيد بيغن يفخر بان حرب لبنان قد محت جراح حرب الغفران (تشرين الاول ١٩٧٣) . ويؤسفني القول انه قد بدل تلك الجراح بجراح اخرى » .

وبعد ذلك ، اتهم شمعون بيريز بيغن بأنه شجع ، بسياسته غير المسؤولة ، انبعاث نزعة العداء للسامية . وكان الخطيب التالي هو امنون روبنشتاين ، الحقوقي والنائب عن حزب شينوي ، وطالب بتشكيل لجنة تحقيق . واثناء خطابه صاح قائلاً : « حين قصف السوريون زحلة ، وهو عمل بربري من جميع الوجوه » ، صرح رئيس وزرائنا امام لجنة الشؤون الخارجيه والدفاع ، في ٨ ايار ١٩٨١ :

« ان ما يفعل اليوم بالمسيحيين اللبنانيين ، هو بالضبط ما فعل باليهود في اوروبا في الاربعينات » وهو يقصد ما فعله النازيون باليهود ، لا اكثر ولا اقل ، ولكن حين يجري تذبيح اطفال تحت انظار اهلهم ، وبين ذراعي امهاتهم ، وحين تلقى جثثهم الممزقة على الارض ، وحين يجري ارتكاب جرائم فظيعة لا يمكن وصفها ، وحين يجري احضار اشخاص الى

قرب الحفر ، ويطلق الرصاص عليهم ثم يدفنون بالجرافات ، حينئذ لا يعود مجال لفصل اعمال مناحيم بيغن عن اعمال النازيين .

وحين اشار له رئيس البرلمان بأنه وصل الى نهاية وقته للكلام ، اجابه امنون روبنشتاين : « سيدي الرئيس » اعطني ايضا ثانية لكل طفل مات في المخيمين . وانطلق يقول بلهجة اشد : « نحن ننتسب الى شعب جرى اضطهاده اكثر من اي شعب اخر في العالم . لقد عرفنا الاغتيالات ، والعنصرية ، والاضطهادات . وعلينا ان نكون يقظين اكثر من اي ناس اخرين ، وعدم الاستسلام لهذه الميول التي ادت الى عمليات الاضطهاد هذه . وعلينا ان نكون اشد أعداء العنصرية . وليس لنا الحق باقامة فروق بين دماء ناس ودماء ناس اخرين . وبالنسبة لنا ، فجميع الاطفال الذين يموتون هم متماثلون » .

وصعد حينئذ الى المنصة الوزير اريبل شارون ، وقد اكد متشددا بقوله : « ان كل محاولة لكي تربط هذه المسألة التعيسة بجيشنا ، بما في ذلك المطالبة بتشكيل لجنة تحقيق، هي ظلم يلحق بجيش الدفاع الاسرائيلي ، وبمسؤوليه ، وبكل شعب اسرائيل » . وبعد ذلك وجه الكلام الى معارضيه قائلا : « ايها السيد بيريز ، حين كنت انت نفسك وزيرا للدفاع ، اين كان ضباط الجيش الاسرائيلي اثناء مذبحة تل الزعتر ؟ انني اتحداك ان تقول ذلك ! » وقد كذب القائد العمالي بصورة قاطعة هذه التلميحات .

وبعد ذلك ببضعة ايام ، ذكر الجنرال الاحتياطي بنيامين بن اليزر ، ان ثلاثة ضباط اسرائيليين ، كان هو منهم ، قد زاروا الكتائب اثناء صيف ١٩٧٦ ، لكنه اكد بأنه عاد الى اسرائيل قبل مذبحة تل الزعتر بخمسة عشر يوما (يديعوت احرونوت ، ٢٤ ايلول ١٩٨٢) .

وحين اقترب مناحيم بيغن من المنصة ، كان التوتر في ذروته . وقد اعلن قائلا : « ان اسرائيل ليست مذنبة ، وجيش الدفاع الاسرائيلي ليس مذنبا . لقد حدثت كارثة ، وقد سبق

ان اصابت اسرائيل كوارث اخرى ، وليس فقط في لبنان . فهل تريدون ان اقدم لكم قائمة بهذه الكوارث ؟ » .

وفي اسرائيل ، استمرت التظاهرات والمواكب الاحتجاجية ، مطالبة بصورة خاصة بأنشاء لجنة للتحقيق . وتكاثرت التجمعات العفوية بحيث لم يعد بالامكان احصاؤها . وجرى توقيع عرائض . وصرح احد الطلبة الاسرائيليين اثناء تظاهرة في تل ابيب : « **لقد حول عرفات شعبا مطرودا ومنبوذا الى امة محترمة وشعبية . وحول بيغن امة محترمة وشعبية الى شعب مطرود ومنبوذ . لقد وحد عرفات شعبه . وبيغن قسم شعبه . وقد نجح عرفات من ان يجعل من الهزيمة انتصارا . ونجح بيغن في ان يجعل من الانتصار هزيمة** » .

وامام الكنيس الكبير في القدس، طالب متظاهرون دينيون يعتمرون القلنسوات الدينية ، باستقالة الحكومة ، واوضح احدهم قائلا : « حتى الان ، تظاهر العلمانيون اليهود وحدهم ضد اراقة الدماء في لبنان . وقد صمت المتدينون ، ان هؤلاء المدنيين لا يملكون احتكار الاخلاق . ونحن ايضا نحتج » ، وتحت الضغط المتزايد كل يوم للراي العام ، الذي ادى ، في ٢٥ ايلول ، الى قيام تظاهرة ضمت ٤٠٠ الف شخص ، في تل ابيب ، وهي اضخم تظاهرة تقوم في اسرائيل منذ انشاء دولة اسرائيل ، قبلت الحكومة ، في ٢٨ ايلول بتشكيل لجنة للتحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا . .

وداخل الجيش الاسرائيلي ، يفضلون لزوم الصمت ، وفي الصباح ، اجتمعت هيئة الاركان ــ العامة . وحسب احد المشتركين في الاجتماع ، الذي تحدث الى مراسل صحيفة « دافار » ، فان رئيس الاركان رفائيل ايتان لم يكرس سوى خمس دقائق « لاحداث صبرا وشاتيلا » ، ولم يدل احد بملاحظة ، ولم يطرح اي سؤال ، ولم يطلب احد من العسكريين المجتمعين الكلام .

وفي مخيم شاتيلا ، في نفس اللحظة ، امام حفرة مشتركة ، كانت امرأة تواصل السير رائحة راجعة . لقد

هلك ١٣ عضوا من عائلتها . وتوقفت ، وجلست على الارض ، ودفعت بالتراب الى راسها وقالت باكية : « الى اين اذهب الان ؟ » .

تقـريـر
«لجنة كاهَان»
ثغرات ونوَاقص..

واضع كتاب مجازر صبرا وشاتيلا يناقش «تقرير لجنة كاهان» الاسرائيلية مليء بالثغرات والنواقص والمسؤولية تقع على اسرائيل مباشرة

النواقص والثغرات في التحقيق الاسرائيلي بمجازر صبرا وشاتيلا

عندما صدر كتاب « تحقيق في مجزرة ـ صبرا وشاتيلا » باللغة الفرنسية ، قامت حكومة اسرائيل بتشكيل « لجنة كاهان » للتحقيق في تلك المجازر ، بعد ان تصاعدت حملات الاستنكار والشجب والادانة لتلك المجازر وتحميل اسرائيل المسؤولية الرئيسية فيها . واجرت تلك اللجنة تحقيقاتها ، ووضعت تقريرها وعممته على العالم في محاولة لتبرير ما حدث لابعاد المسؤولية عن نفسها .

ورغم قيام القوات اللبنانية الكتائبية بتنفيذ تلك المجازر الوحشية ، كمخلب قط في يد اسرائيل ، الا ان اسرائيل مسؤولة مسؤولية مباشرة لان المخيمين كانا تحت سلطتها كقوات احتلال .

ان اسرائيل مسؤولة كدولة وكحكومة وكجنرالات عن كل ما حدث رغم ان التنفيذ المباشر كان على يد قوات حزب الكتائب .

ولقد وجد مؤلف الكتاب ضرورة مناقشة « تقرير لجنة كاهان » كاشفا الثغرات فيه في مقال نشرته له صحيفة « لوموند ديبلوماتيك » في عددها لشهر حزيران ١٩٨٣ ، تناول فيه التقرير فقرة فقره ، وتنشر ترجمة لهذا المقال بحيث يأتي مكملا لما ورد في الكتاب .

مع تعيين الجنرال « آموس يارون » قائد القوات الاسرائيلية في ضواحي بيروت اثناء مجازر صبرا وشاتيلا (١٦ ــ ١٨ ايلول ٨٢) كرئيس مكتب العاملين في رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي ــ وباصرار من رئيس الحكومة الاسرائيلية بيغن نفسه ــ تكون قد وضعت اخر مقررات « لجنة كاهان » موضع التنفيذ ، تلك اللجنة الاسرائيلية التي كلفت بالتحقيق في المجازر المذكورة . وبعد أربعة أشهر على نشر التحقيق ، نستطيع تطبيق المثل القائل : « تمخض الجبل فولد فأرا » .

لا أحد ينكر المساهمة الايجابية التي قدمها التحقيق في مجال اظهار جوانب كثيرة من الشراكة والمسؤولية لدى بعض القادة المدنيين والعسكريين الاسرائيليين في مجازر صبرا وشاتيلا ، التي نفذتها « القوات اللبنانية » ببرودة دم والتي ذهب ضحيتها الاف الفلسطينيين واللبنانيين الذين يسكنون المخيمات في ضواحي بيروت .

الا ان اللجنة التي لم تجر تحقيقها في قصر عاجي ، أخذت في الاعتبار ما يمكن أن يعكسه هذا التحقيق على مستوى الرأي العام . لذلك فان المحققين الثلاثة لم يريدوا احداث أزمة ضمير تؤدي في النهاية الى ازمة معنوية وسياسية . فالنتائج التي توصلوا اليها تمثل الحد الادنى مما كان متوقعا ، نظرا للاحداث الهامة التي كان من الممكن معرفتها ، لانهم تركوا لبيغن ، الذي كان يعارض اجراء أي تحقيق في دور اسرائيل في المجازر ، انيتجنب سقوط حكومته . والتغيير الوحيد الذي حصل في الحكومة هو تعيين « الصقر » الشهير « موشي آرينز » وزيرا للدفاع وابقاء شارون وزيرا دون حقيبة ، وعضوا في لجنة الدفاع الوطني .

مناقشة هادئة للتقرير

ان الاحتجاج العام الذي اعلنه مؤيدو شارون ، بعد نشر التحقيق ونتائجه، والذي أخذ طابع العصيان المسلح ، على حد قول وزير الداخلية يوسف بورغ ، قد دفع بكل الحريصين على الانظمة الدستورية ومستقبلها في اسرائيل الى الدفاع عن اللجنة وتحقيقها . والان ، بعد ان هدأت تلك العاصفة لا بد من مناقشة هادئة وجدية لهذا التحقيق وتحليله لانه في نظر الكثيرين من الخبراء يلقي الاضواء على عدة نقاط أساسية :

● أولا ، ان مجازر صبرا وشاتيلا لا تنفصل عن الحرب في لبنان ، بينما اعتبرتها اللجنة كأحداث عابرة ومنفصلة وهذا استثناء فاضح . ان اعضاء

اللجنة الثلاثة ــ القاضيان « اسحاق كاهان » و « اهارون باراك » والجنرال يونا افرات ــ هم جزء من التركيبة (حلقة بيغن) ولذلك لم ينتقدوا ولو بكلمة ايا من مظاهر الاجتياح الاسرائيلي للبنان (كتدمير المخيمات في الجنوب) .

فالقصف الوحشي لبيروت الغربية برا وبحرا وجوا من قبل اسرائيل اعتبرته اللجنة قصفا يستهدف أهدافا مختلفة في بيروت الغربية . (وذلك في النص الرسمي باللغة العبرية للتحقيق) . فمثلا (فقرة ١١) عند الحديث عن الجرائم المروعة التي أرتكبت خلال الحرب الاهلية في لبنان ، ثم التركيز على ما حصل في الدامور « البلدة التي احتلت ودمرت من قبل الارهابيين الفلسطينيين » . بينما لم يذكر اي شيء عن المجازر التي أرتكبتها الكتائب اللبنانية في الكرنتينا ، المنطقة الشعبية في احد ضواحي بيروت (١٤ ك٢ ٧٦).

ان احتلال بيروت الغربية من قبل الجيش الاسرائيلي ، والاخلال بالوعود التي قطعتها الدولة العبرية بررت فورا بالتالي : « انه في الحالات الطارئة جدا يجب اتخاذ أية مبادرة سريعة ومحددة لتجنب بعض التطورات الخطيرة علينا والتي لانتمناها » .

فعلا ، دخل الجيش الاسرائيلي الى بيروت ، وحضر الاجواء للمجازر فجرد الميلشيات الاسلامية والتقدمية من سلاحها ، واحدث خللا في التوازن بين المجموعات المسلحة ، ووضع المدنيين الفلسطينيين تحت رحمة الميليشيات المسيحية اليمينية . ودون الاخلال بذلك لما تمكنت « القوات اللبنانية » ، التابعة للرئيس بشير الجميل الذي اغتيل ، من ارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا . لانها ، في نظر كل الخبراء ، الاضعف بين كل المجموعات المسلحة

توجد في تقرير كاهان ثغرتان أساسيتان : فاعضاء اللجنة لم يتمكنوا من الذهاب الى المكان الذي ارتكبت فيه المجازر لان الاسرائيليين تركوا بيروت تحت الضغط الاميركي ، كما يعترفون أنفسهم ، ومن جهة ثانية فلا يوجد تقريبا، أي لبناني أو فلسطيني بين الشهود أمام اللجنة والبالغ عددهم ٢٢١ شخصا .

صحيح ان السيد كاهان ورفاقه كانوا يتمنون الاستماع الى افادات الفلسطينيين واللبنانيين حول المجازر ، لكنهم لم يفعلوا ، اما عن خوف او عن سوء تصرف أو ، وهذا هو الاحتمال الاقرب الى التصديق ، لانهم ما أرادوا من خلال تلك الافادات اعطاء شرعية معينة للجنة مشكوك بموضوعيتها . مهما يكن ، فالمعطيات المتعلقة باللبنانيين والفلسطينيين في التقرير ليست دقيقة وتحمل الكثير من التناقضات ان لم نقل الاخطاء وبعض الاهمال غير المبرر . فالتقرير مثلا يشير في عدة مقاطع الى ما حصل في مستشفى غزة ، ولا يقول كلمة عما

حصل في مستشفى عكا (جنوب شاتيلا) الذي كان مسرحا لمجازر فظيعة .
لماذا ؟ لان ثلاثة من الفريق الطبي في مستشفى غزة ، وهم الممرضة « ايلين سيفيل » الاميركية الاصل والاطباء « سوي شاي انغ » و « بول موريس » البريطانيين الاصل ، مثلوا امام اللجنة (١ تشرين الثاني ٨٢ في القدس) واعطوا توضيحات دقيقة عما تعرض له مستشفاهم .

في المقابل ، لا احد من بين الذين رأوا المهاجمين يعذبون ويقتلون في عكا لم يمثل امام اللجنة . علما ان تفاصيل المجازر المرتكبة في عكا تناقلها كل الذين حققوا في الامر على الطبيعة . فاسماء مفيد اسعد (١٤ سنة) الذي قتل في سريره ، والممرضة الفلسطينية انيسا اسماعيل (١٩ عاما) التي اغتصبت وقتلت ، والطبيبان علي عثمان وسامي خطيب اللذان ذبحا امام زملائهما مع عدد كبير من الاسماء وردوا في عدة تحقيقات .

ولاخذ فكرة عما حصل في مستشفى عكا ، يكفي أن يسأل المرء مكتب الصليب الاحمر الدولي في بيروت الذي أخلى عناصره المرضى والاطباء في ١٧ ايلول ، بينما كانت الميليشيات تستمر في جرائمها في أماكن متعددة من المخيمين. ان غياب الشهود عن عكا وعن مجازر أخرى ارتكبت أثناء المذبحة هي في الاساس من الثغرات الكبيرة البارزة في تقرير كاهان .

« ما كنا نراه من الطابق السابع من مقر القيادة الامامي »

ان احد اخطاء اللجنة الجسيمة يكمن في تأكيدها « انه لم يكن بالامكان رؤية ما كان يحصل داخل المخيمات وفي القطاع الذي نفذت منه الكتائب ، من المركز الامامي للقيادة الاسرائيلية » . (فقرة ٦٩) . فالمركز هذا كان على سطح بناء يتألف من خمسة طوابق – في الواقع هي سبعة ويمكن التأكد من قبل كل المارة – ويبعد مائتي متر عن جنوب غربي مخيم شاتيلا . ومن هذا السطح كان بالامكان أخذ مناظر عامة كما يؤكد كل الذين زاروا المركز – شهود يمكننا اعتبارهم صادقين – ولم يكن بالامكان رؤية ما كان يحصل في الشوارع الصغيرة»، (فقرة ٢٣) ، ونفس التأكيد يأتي في الفقرة ٣٤ : « ما ان يجري اجتياز الحاجز الذي يحيط بالمخيمات فانه يصبح صعبا رؤية تحركات الكتائبيين من على سطح مقر القيادة الامامي » (الاسرائيلي) . ولكننا نقرأ في نهاية الفقرة نفسها أن الجنرال أمير درووري كان حاضرا على السطح السابعة والنصف مساء

الخميس ١٩ ايلول ، وغادره بعد الساعة الثامنة ليلا ، وذلك بعد ان تابع المعارك التي كان يمكن ملاحقتها من على السطح » .

ان مسألة الرؤية انطلاقا من هذا السطح مهمة جدا . كان من الواجب على القضاة الاسرائيليين الاستناد الى تصريحات الشهود الذين كان من الممكن تجريمهم لو ثبت انه كان بالامكان رؤية ما كان يحصل في المخيمات من علو هذا السطح .

ولذلك أصبح من الممكن فهم تأكيدهم على عدم امكانية المراقبة . ولكن المخيمات والسطح موجودة ولا يتطلب الامر سوى الذهاب اليهما !! وهذا ما فعلناه مباشرة للتأكد انه كان بالامكان رؤية كل شيء خاصة في القطاع الذي شهد أفظع المجازر والقريب جدا من موقع القيادة الاسرائيلية .

ان المقبرة الجماعية التي حفرها الكتائبيون في جنوب غربي شاتيلا تقع على بعد ثلاثمائة متر من السطح الشهير ويمكن رؤيتها من فوق . ان الجرافات افرغت عشرات ، لا بل مئات الجثث ، وكان بالامكان تمييز بعض التحركات من فوق . مع تأكيدات الضباط الذين أعلنوا امام اللجنة انهم لم يروا شيئا ، كتب الصحافي الاسرائيلي المعروف « أ.ب يهوشوا » يقول : « حتى لو صدقت أن الجنود الاسرائيليين الموجودين على بعد مئات الامتار من المخيمات لم يعرفوا شيئا عما كان يحصل ، فسيكون ذلك التجاهل تماما كما فعل الالمان الذين كانوا يجلسون بالقرب من « بوخنوالد » و « تربلينيكا » « Buctienwald , Et Treblinka »

وما أرادوا معرفة ما يحصل . ونحن ايضا لم نكن نريد أن نعرف ماذا يحصل . عندما نتكلم عن تصفية و « تحرير » ، وعندما نعامل الفلسطينيين « كحيوانات بقدمين » ، فالاستغراب أن يترك الجندي فظائع كهذه ترتكب بالقرب منه » .

ان مقر القيادة المشرف على المخيمات قد تلقى معلومات عن سير العمليات من المهاجمين انفسهم لحظة دخولهم ، فبعد ساعة من دخول الكتائب ، كان أحد الضباط الاسرائيليين الجالسين على السطح يستمع الى مراسلة بالاجهزة بين أحد ضباط الكتائب ورئيسه الموجود على السطح ايضا ، يسأل فيها الضابط ما يلي : « يوجد هنا خمسون امرأة وطفلا » ويطلب التوجيهات ؟

فيجيب ايلي حبيقة عبر جهازه بالتالي :

« لا تطرح علي اسئلة كهذه ، انك تعلم تماما ماذا عليك أن تفعل » .

عندها بدأ الكتائبيون الموجودون على السطح يضحكون بصوت عال ،

(فقرة ٣٦) .

بعد قليل يسمع ضابط المخابرات الاسرائيلي دائما عبر جهازه ، أحد مسؤولي الكتائب يطلب الى مجموعته تنفيذ « أرادة الله » بخمس وأربعين مدنيا . (فقرة ٣٥) ، ثم وبعد ساعتين من بدء المجزرة يروي ضابط الكتائب اثناء العشاء في مطعم القيادة : « انه قد قتل حتى الان ما يقارب الثلاثمائة ارهابي ومدني » . الجنرال يارون نفسه يسمع هذا الكلام . المعلومات عن الجرائم تأتي من المنفذين أنفسهم ، ومن الجنود الاسرائيليين الموجودين حول المخيمات ، ولكن القائد العام لم يعط أذنا صاغية لذلك ، وكأنه ينفذ أوامر ضمنية .

عندما حاول الملازم اول غرابوسكي نائب قائد كتيبة الدبابات المرابطة حول المخيمات أن يعلم ضباطه بالمجازر التي ارتكبت بحق المدنيين ، ورآها بعينه ، سمع القائد العام يقول له : « اننا نعرف ذلك ، هذا لا يعجبنا ، ولكننا لن نتدخل » .

في المساء وبعد قليل من بدء المذبحة « وبينما كان الجنرال يارون يستمع الى ضابط المخابرات يقول في جلسة علنية انه يعتقد ان هناك مجموعة من النساء والاطفال قد قتلوا ، قاطعه يارون فورا . ويستنتج من تسجيل الحديث الذي كان يدور في تلك اللحظة ان يارون كان يريد اقفال النقاش والتخفيف من اهمية الحدث » .

حتى الاميركيين قد علموا بالامر وطلبوا حسب التقرير (فقرة ٤٨) ، وقف العمليات في المخيمات ، وحدها القيادة الاسرائيلية لم تكن في جو ما يجري داخل المخيمات وخطورة ذلك الوضع . ولكن لماذا اذن الحرص على ازالة الرموز الاسرائيلية عن الجرافات التي قدمت للكتائب كما تقول الفقرة ٤٨ ؟ المندوب العسكري لجريدة « ايديعوت آحرونوت » ايتان هابر كتب ساخرا :

« انه لامر محير فعلا ان ترى مدى جهل القيادة العسكرية العليا لشمال البلاد وقائدها لما كان يجري في المخيمات ، علما بان هذا الجيش الاسرائيلي كان يعلم أين في أي حي ، وفي أي شارع ، وفي اي بناية وفي أي طابق يسكن كل قائد من الفدائيين في بيروت ، وكان يعرف ايضا سماكة المفاعل النووي العراقي في بغداد (يديعوت احرونوت ، ١ تشرين الثاني ١٩٨٢) .

أحد الاخطاء الجسيمة في تقرير كاهان تتعلق بموضوع المسؤولية في المجازر ، حول هذه النقطة ، فان نتائج اللجنة تتناقض مع الاحداث التي نقلتها اللجنة نفسها . الجيش الاسرائيلي احتل بيروت الغربية . فهو اذن مسؤول

عن أمن وسلام المدنيين فيها ، حسب القوانين الدولية البديهية علما ان الحجة التي برر فيها دخوله الى بيروت الغربية ، كانت تماما « تجنب وقوع المزيد من أعمال العنف واراقة الدماء والانفجار » (فقرة ٤١) . في ١٦ ايلول ٨٢ ينشر مكتب وزير الدفاع وثيقة يقول فيها : « هناك قوة واحدة ، وهذه القوة هي الجيش الاسرائيلي الذي يدير العمليات على الارض . اما بالنسبة للعمليات في المخيمات فان الكتائب هم الذين سيكلفون حسب تفسير رئيس مكتب الاستخبارات العسكرية في الجيش ، هذا يعني ان كل القوى المشاركة على الارض بما فيها الكتائب كانت تحت سلطة جيش الدفاع الاسرائيلي « تساهال » وتعمل بتوجيهاته » .

وفي اليوم نفسه ، واثناء جلسة وزارته يقول رافايل ايتان رئيس اركان الجيش : « ان المخيمات حوصرت من قبلنا ، وان الكتائب بدأت بالتنفيذ في الليلة ذاتها (عندما كان يتكلم ايتان كان الكتائبيون قد قتلوا المئات) انها القوة التي يمكننا توجيه الاوامر لها » . كما قال انه اعلم القادة الكتائبيين بان على رجالهم المشاركة في العملية واستعدادهم الى الذهاب الى أي مكان تحدده لهم وهناك ينفذون حسب طرقهم الخاصة .

من هم حلفاء الجيش الاسرائيلي ؟ وما هي طرقهم ؟ التقرير يتكلم بحرية : « أن القادة الكتائبيين كان في نيتهم طرد القسم الاكبر من اللاجئين الفلسطينيين من الاراضي اللبنانية ، سواء باقناعهم بترك لبنان طوعيا ، أو باستعمال وسائل متعددة . ولم يخفوا ايضا انه لا بد من ممارسة العنف لدفع غالبية اللاجئين الى الخروج من لبنان » (الفقرة ١٧) .

أبعد من ذلك ينقل التقرير اقتراحات بشير الجميل قائد الميليشيات الكتائبية « بضرورة تصفية الموضوع الفلسطيني في لبنان فور وصوله الى السلطة ، حتى ولو كان ، سيلجأ الى أساليب خطيرة . وهناك طروحات اخرى وردت على لسان بعض القادة الكتائبيين غيره . من ناحية اخرى فان ممارسات الكتائبيين خلال الحرب كانت تشير الى انه لا يوجد تغيير أساسي في علاقاتهم مع مختلف فئات الشعب اللبناني كالدروز مثلا او الفلسطينيين اذ كانوا يعتبرونهم اعداء . لقد وصلتنا معلومات تتعلق بمجازر ارتكبت بحق النساء والاطفال وعمليات التصفية التي نفذتها وحدة الامن والمعلومات التابعة « لايلي حبيقة » (الذي قاد القوات في صبرا وشاتيلا) . هذه المعلومات قد عززت الشعور لدى الكثيرين من الناس وخاصة ضباط المخابرات المتمرسين بأن الكتائب كانوا ينتظرون أول فرصة سانحة لارتكاب مجازر بحق الفلسطينيين » . (فقرة ٢١) .

ماذا يفعل اذن الجنرالان شارون وايتان ؟ الجيش الاسرائيلي يحاصر المخيمات ، يجرد في المقابل الميليشيات اللبنانية المناهضة للكتائب من سلاحها، وينظم دخول القوات الكتائبية الى المخيمات ، ويقدم لها العون اللوجستي المتعدد الجوانب ، ويغمض عيونه ، ويقفل اذنيه لفترة ثمانية واربعين ساعة مدة المذبحة . النتيجة : ما يقارب الثلاثة الاف قتيل في اعنف مجازر قلما شهدها العالم منذ الحرب العالمية الثانية . (طبعا حاول تقرير كاهان التقليل من عدد ضحايا المجازر ـ الكاتب) .

« الاتهام بالقتل عمداً »

بعد ذلك ، يؤكد المحققون الثلاثة بان شارون وايتان ، يتحملان مسؤولية غير مباشرة . وافضل جواب على هذا التاكيد جاء بقلم الكاتب « أموس اوز » الاكثر شهرة بين الكتاب الاسرائيليين عندما قال : « ان الذي يدعو « باقر البطون » في يوركشاير لقضاء يومين في ميتم للبنات ، لا يمكنه بعد رؤية الجثث المكدسة ان يدعي بانه اتفق معه ان يكتفي بغسل رؤوس الاطفال فقط » .

الروائي « أزهار سميلانسكي » سخر بدوره قائلا : « لقد اطلقنا الاسود الجائعة الكاسرة في الميدان فأكلت الناس . اذن الاسود مذنبة » .

ان المادة ٢٩٨ من قانون العقوبات الاسرائيلي لعام ١٩٧٧ تقول : « يتهم بالقتل عمداً كل من يشارك او يتهاون في قتل انسان » ، والمادة ٢٦ من القانون ذاته تحدد شركاء القاتل وتلقي عليهم مسؤولية مباشرة ، كيف لا نستنتج اذن ان المسؤولية الاسرائيلية كانت مباشرة قبل بدء المجزرة ؟ وفي اسوأ الاحتمالات بعد دخول « القوات اللبنانية » الى المخيمات ؟

الجمعة ، الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبعد اثنين وعشرين ساعة من بدء المذبحة ، يعقد رئيس الاركان الاسرائيلي اجتماعا مع قيادة الكتائب . « يدعو رئيس الاركان الكتائبي للاستمرار في العمليات وتنظيف المخيمات حتى جنوب الفاكهاني ، وذلك لفترة تمتد حتى الساعة الخامسة بعد ظهر غد ، الساعة المحددة لوقف العمليات بناء للضغط الاميركي » .

الفقرة ٤٨ : ، هذه الفقرة هي ذات اهمية بالغة ، لانها تظهر ان القيادة العليا الاسرائيلية سمحت للقتلة باكمال المذبحة خلال ثلاث عشرة ساعة اضافية . وتضيف هذه الفقرة ان الاميركيين ، وليس الاسرائيليين ، هم الذين ضغطوا لوقف العمليات في أسرع وقت ممكن . ثم نكتشف فجاة ان المخيمات

كانت خالية وليس كما كانوا يقولون بان « الفي ارهابي » ما يزالون في بيروت بعد اخراج الفدائيين حسب « اتفاق حبيب » في آب ٨٢ ، وان تنظيف المخيمات قد عهد به آلى الكتائبيين لتوفير حياة الجنود الاسرائيليين . لو كان هناك فعلا مئات من الفدائيين في المخيمين ، لما تجرأنا على ارسال وحدة من مئة وخمسين كتائبيا ــ مقاتلين ضعفاء حسب رأي الجميع ــ في بدء العملية (المجموع ..٤ عنصر) . فعلا لقد كانت خسائر المهاجمين قتيلين وجريحين اصابتهما طفيفة .

في ضوء هذه الاثباتات والعدد الكبير من الشهود ، لا يمكننا التصديق بان شارون وايتان ، مهندسا العملية ، لم يعلما مسبقا بما كان سيحصل في المخيمين . وعند الضرورة يمكننا العودة الى « تقرير كاهان » (فقرة ٨١) ، عندما يشير الى ان الجنرال ايتان « كان يعتقد انه في نهاية الامر لن تاخذ عمليات الكتائب حدودا بعيدة » .. مجزرة صغيرة لتخويف الفلسطينيين ودفعهم الى ترك لبنان تصبح دير ياسين جديدة نفذها كتائبيون ، بشكل مخطط هذه المرة .

تبقى جملة صغيرة من « تقرير كاهان » في فصل « ملاحظات اخيرة » (فقرة ٩٧) ، لقد وزعت المدائح على الجنود الاسرائيليين حول اخلاقيتهم في الحرب . وفجاة يقول التقرير : « نتاسف لان ردة فعل الجنود الاسرائيليين تجاه الفظائع التي ارتكبت بحق المدنيين سواء عن وحشية او عن شعور بالثار لم تكن دائما كافية لتوقيف تلك العمليات الحقيرة » ثم نقرأ ، دائما حسب نوايا الجنود الاسرائيليين : « آن الغاية لا تبرء الوسيلة ، وان احترام القيم الانسانية والمعنوية الاساسية يجب ان ترافق دائما استعمال السلاح » . لماذا هذه الملاحظات اذن ، طالما انه حسب التقرير (فقرتان ٦٦ و ٦٨) كان الجنود الاسرائيليون فوق كل شبهة ؟ ؟

ان « تقرير لجنة كاهان » جدير بالتقدير دون شك ، ولكن فيه ثغرات كثيرة . فهو لا ينهي هذا العمل الفظيع المخيف . ابعد من ذلك يجب معاقبة جميع المسؤولين مباشرة ، وهم ليسوا لبنانيين فقط كما يؤكد التقرير .

وثيقة
تكمل الكتاب

هذا الموضوع الذي ننشره
يعتبر وثيقة جديدة
مكمّلة للكتاب - الوثيقة

نَصّ الوَثيقَـة

اهمية هذا الموضوع القصير
انه حديث لكتائبي شارك في تنفيذ مجازر صبرا وشاتيلا، ونشرت اعترافاته مجلة المانية غربية تحترم نفسهـــا «دير شبيغل» ، وقالت انها تحتفظ باسمه .
ابرز ما قاله :
● اشارته الى ان بعض عناصر من «نمور الاحرار» شاركت في المجازر . وهذا يذاع لاول مــرة . وننشره ونترك لمن يهمه الامر توضيحه .
● اعلانه ان اسرائيليين شاركوا في تنفيذ المجازر ولكن بلباس كتائبي .
● كذلك قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف المخيمين عندما اشتدت المعارك .
● كلام عن معارك دارت في المخيمين وهو ما لم يرد سابقا في الكثير مما نشر حول المجازر .
● اسرائيليون اصدروا الاوامر واشرفوا علـــى تنفيذها .
ننشر هذه الوثيقة الجديدة مؤكدين ضرورة التحقيق اللبناني الفعلي في هذه المجازر لتحديـــد المسؤوليـــات اللبنانية في ما حدث .

تلقت « الانباء » رسائل عدة حول الحلقات التي نشرتها بشأن مجازر صبرا وشاتيلا ، كان ابرزها هذا الموضوع الذي نشرته مجلة « ديرشبيغل » الالمانية الغربية في عددها رقم ٧ الصادر في ١٤ شباط ١٩٨٣ . وهو عبارة عن حديث لكتائبي لبناني عن دوره في مجازر صبرا وشاتيلا ، قالت المجلة ان اسمه لدى رئيس تحريرها . فهو وثيقة اذن ، تضاف الى ما نشرناه من كتاب كبليوك عن تلك المجازر . قال الكتائبي عن مجازر ايلول ١٩٨٢ تلك انها لا مثيل لها وان الكتائب اللبنانية قامت بها .

قال الكتائبي لمجلة « ديرشبيغل » :

التقينا في وادي شحرور ، الواقع في جنوب شرقي بيروت ، وكان ذلك في يوم الاربعاء الواقع في الخامس عشر من ايلول ، وكان قبل ذلك قد وقع زعيمنا بشير الجميل ضحية انفجار مدبر قتل فيه .

كنا زهاء ثلاثمائة رجل من شرق بيروت ومن جنوب لبنان ومن جبال عكار في الشمال ، وكلنا اعضاء في حزب الكتائب اللبنانية .

كنا نرتدي الزي العسكري الكتائبي ، وكذلك اولئك الذين ينتمون مثلي الى « كتائب نمور الاحرار » التابعين للرئيس اللبناني السابق كميل شمعون . وجمعنا في ذلك المكان ضباط كتائبيون اعلنوا لنا بأنهم يحتاجوننا من اجل عملية خاصة .

ومما قالوه لنا :

ـ لقد جئتم باختياركم من اجل الانتقام لمقتل بشير الجميل الفظيع . انكم أدوات الله ، وكل واحد منكم هو المنتقم !

وهذا أمر اثر علي بالذات حيث ، عندما هجم الفلسطينيون على الدامور واستولوا عليها عام ١٩٧٦ ، فقدت اثنين من أشقائي الصغار . ومن الاحاديث التي دارت مع الرفاق اتضح لي أن معظمهم فقدوا أيضا بعض أقربائهم .

ومن ثم جاءت دزينة من الاسرائيليين باللباس الاخضر ، ودون اشارات الرتب ، وكانت معهم خرائط وهم يتكلمون العربية بصورة جيدة ، فقط حرف الحاء الشديد كانوا

يلفظونه مثل كل اليهود بـ (خاء) .

الامر يتعلق بمخيمي صبرا وشاتيلا للفلسطينيين .وكان علينا كلنا أن ندرس لساعات طويلة الخرائط ، وكان ذلك وقت مهدور، حيث ما كان علينا القيام به كان واضحا بالنسبة لنا ، وكنا مسرورين للغاية من أجل ذلك .

أعلمنا ضباطنا بأن لدينا مهمة شريفة نؤديها وهي تحرير لبنان الان من اخر اعدائه . .وعلينا تمشيط المخيمين ، وأسر جميع الرجال القادرين على القتال . وكنا فخورين للغاية .

وفي بعد ظهر اليوم التالي التقت مجموعتنا مرة ثانية، وكان علينا أن نتعهد بقسم أن لا نفضي اطلاقا بأي شيء عن العملية .

وحوالي الساعة العاشرة ليلا صعدنا الى سيارة شحن عسكرية اميركية وضعها الاسرائيليون تحت تصرفنا. وأوقفنا الشاحنة بالقرب من مستديرة المطار . وهناك الى القرب من المواقع الاسرائيلية ، توقف العديد من مثل هذه الشاحنات التي سيصار عليها فيما بعد ، نقل الاسرى من الفلسطينيين .

وكان في عداد الحملة بعض الاسرائيليين بلباس الكتائب . وصرح لنا ضباطنا قائلين : الاصدقاء الاسرائيليون الذين يرافقونكم هم ايضا متطوعون ، ولم يقولوا اي شيء عن اشتراكهم معنا في هذه العملية الى جيشهم .. وهم سوف يسهلون عليكم مهمتكم !

بالاضافة الى ذلك حظروا علينا استخدام الاسلحة النارية بقدر الامكان اذ كل شيء يجب أن يتم بدون صوت، وهم ينتظرون عودتنا خلال ثلاث ساعات .

وكان ضابط كتائبي يؤمن الاتصال مع الاسرائيليين عند مدخل المخيم . ومن ثم قادتنا شخصية مقنعة الى منحدر بالقرب من السفارة الكويتية المهجورة .

« اقفز » ، صاح بي صوت من ورائي . وبالقرب من الجدار الذي قفزنا عنه ، كانت هناك « باراكه » .

دفعنا الباب بقوة ، وكان بداخلها رجل متقدم في السن

وامرأة كذلك وشابان في السادسة عشر والخامسة عشر من العمر . وكلنوا يستمعون الى الراديو فصوبنا اليهم رشاشاتنا وفتشنا المكان عن الاسلحة .

أحد الشابين بدا وقحا ، وصرخ في وجهنا :

ــ « كلاب اليهود » وظن نفسه شجاعا ذلك السفيه، فما كان من أحدنا الا أن عاجله بطعنة حربة في قلبه ، وجرى الامر بسرعة وبدون صوت كما أمرنا بذلك ، ولكن لم يكن بمقدورنا تفادي صراخ العجوزين والشاب الاخر صراخا فظيعا ، علما بأننا لم نؤذهم بعد على الاطلاق . اثنان من رفاقنا سحبوهم خارج المكان وساقوهم الى الشاحنات ، ولا أدري فيما اذا كانوا قد وصلوها ...

ومن ثم شاهدنا رفاقا اخرين ، وقد تبعوا حتى الان التعليمات ، ولم يطلقوا النار بل استخدموا الحراب والسكاكين . جثث مضرجة بالدماء كانت ملقاة في الازقة وعند مداخل « الباراكات » ..

ولكن النساء المذعورات والاطفال الذين اخذوا يصرخون طالبين النجدة ، أعاقوا عملنا ، حيث ان صراخهم نبه سكان المخيم .

ومن ثم فجأة دوت اصوات طلقات الرصاص ، اذ في الجهة الشمالية من مخيم شاتيلا تمترس شبان فلسطينيون مسلحون ، واخذوا يطلقون النار وقذائف البازوكا على مجموعتنا . أحد رفاقي قطعت يده اليمنى ، وكان علينا أن نتراجع ، وفكرة الانتهاء من العملية في غضون ثلاث ساعات أصبحت غير واردة .

والان شاهدت ثانية المستشارين الاسرائيليين الذين قدموا الى مكان اجتماعنا السري . واحد منهم كان يستعمل جهاز اللاسلكي الحاكي ، وأشار علينا بالعودة الى القرب من مدخل المخيم . وبعد دقائق قليلة اخذت المدفعية الاسرائيلية ترسل من كل فوهاتها الحمم على المخيم المذكور .

وعندما عدنا وتقدمنا الى الامام ، ساعدنا الاسرائيليون بالقنابل المضيئة كي نتمكن من التمييز بين الصديق والعدو .

وكانت هناك مشاهد تهز المشاعر ، والتي تبين الى

أي مدى هي قدرة الفلسطينيين . بعض المسلحين من بينهم بعض النساء ، تمركزوا في زقاق ضيق في الجزء الشمالي من المخيم ، وبالتالي وراء بعض الحمير . وكان علينا مع « الاسف » قتل تلك الحيوانات المسكينة حتى نتمكن من القضاء على الفلسطينيين الذين كانوا وراءها .

وقد تأثرت كثيرا عندما أخذت الحمير التي أصابها الرصاص بالنهيق . أمر فظيع للغاية ..

ولكي تروا اي بشر هم هؤلاء الفلسطينيون : رفيق كتائبي مجروح دخل الى منزل مملوء بالنساء والاطفال ،وكان يبحث فقط عن اضمدة . ولكن الفلسطينيين صرخوا في وجهه وقذفوا بـ « بوابير الكاز » الى الارض كي يحترق المنزل ولا يجد الرفيق أية ضمادات .

قساة القلوب هؤلاء سنرمي بهم الى الجحيم .. قال الكتائبي ..

وحوالي الساعة الرابعة عادت مجموعتي الى الشاحنات ، وعلى ما يبدو فان واحدة منها فقط قد استعملت ... (وفهم هنا انه لم يكن هناك أسرى ، بل ان الاسرى قتلوا) .

ذهبنا الى مدخل بلدة الحدث لقضاء الليل ، وعند انبلاج الفجر عدنا الى المخيم . وكنا نمشي فوق الجثث ونتعثر بالجثث ، نطلق النار ونطعن بالحراب كل شاهد عيان فما كان بامكاننا ان نفعل غير ذلك . قتل الاخرين يصبح في غاية السهولة ، عندما يكون المرء قد مارسه مرة واحدة .

والان قدمت الجرافات الاولى التابعة للجيش الاسرائيلي ، وهنا أمر احد ضباط الكتائب قائلا :

ـ أطمروا كل شيء بواسطة الجرافات تحت الارض ، ولا تتركوا اي شاهد عيان على قيد الحياة ، يجب أن تسير الامور بالسرعة القصوى .

وكان بامكانه التحدث كما يريد ، أليس في رأسه عينان ؟

ورغم كل ما قمنا به من جهود ، فالمخيم كان لا يزال

يعج بالناس . ومن كل الجهات كانت تسمع أصوات طلقات الرصاص . الناس هناك كانوا يدافعون عن أنفسهم، وكانوا يولون الادبار وتسببوا بفوضى لا اول لها ولا اخر .

وتم طمر كل شيء تحت التراب ؛ كان أمرا غير سهل التنفيذ . .

لقد انتقمنا لاموات حربنا الاهلية . ولكن في ليلـــــة السبت كان واضحا بأن المخطط « الجميل » كله قد سقط في الماء . الاف من الفلسطينيين نجوا من بين أيدينا . والكثير الكثير من الاعداء الفلسطينيين بقوا على قيد الحياة !

في كل مكان يتحدث الناس عن المجزرة ويأسفون أيضا بعد على الفلسطينيين الذين أجبرونا على هذا العمـــل ! من يا ترى يقدر المتاعب التي أخذناها على عاتقنا من أجل قضية عادلة ؟! تصوروا مرة فقط بأنني بقيت أقاتل في مخيم شاتيلا أربعا وعشرين ساعة متواصلة دون أكل أو شرب !!



نحو الحمرا
المزرعة
كورنيش
طريق المطار
البحر الأبيض المتوسط
الفاكهاني
مدافن الشهداء
مستشفى غزه
المدينة الرياضية
صبرا
سوق صبرا
شاتيلا
حرش ثابت
عرسال
مركز اسرائيلي
سفارة الكويت
مركز الأمم المتحدة
مستشفى عكا
نحو الشياح وحارة حريك
بئر حسن
الجناح
ثكنة هنري شهاب
plages
0 mètres 500
نحو الأوزاعي
نحو المطار
مواقع القوات الاسرائيلية
طرق بإمرة الاسرائيليين
تقدم قوات مسلحة السبت ١٨
الأجزاء المدمرة من المخيم
قوات مسلحة الخميس ١٦
انسحاب قوات مسلحة السبت ٨
قوات متعددة الجنسية
قوات مسلحة الجمعه ١٧
الحدود بين مخيمي صبرا وشاتيلا























لجنة كالاهان للتحقيق في المجازر



شارون وايتان خلال التحقيق



بشير الجميل ورئيس اركان الجيش الاسرائيلي الجنرال ايتان عشية الاحتلال



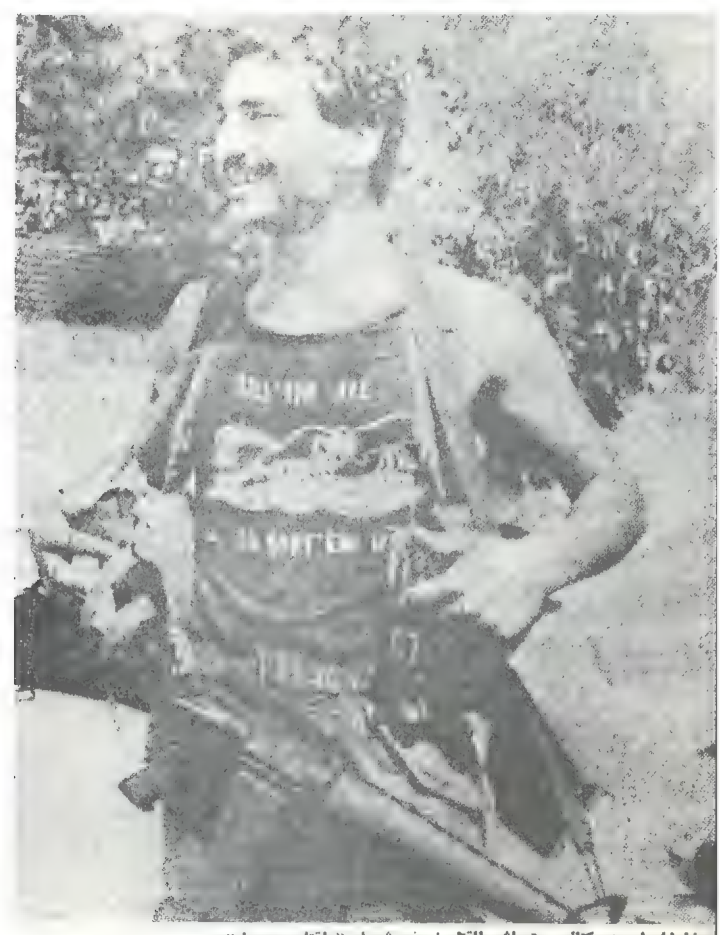
بشير الجميل وشارون خلال الاحتلال



غادي غرام وايتان



هذا ألقناص المتوحش هو بشير الجميل



هذا المسلح هو كتائبي متعطش القتل : رفع شعار « اقتلهم جميعا »

مكتب حزب الكتائب والقوات في اسرائيل

وممثل الكتائب بيار يزبك مع كيمحي مدير الخارجية الاسرائيلية يشربان نخب ماذا ؟

محتويات الكتاب

طبع في بيروت في أيلول ١٩٨٤
اصدار الدار التقدمية
للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع
بيروت ص٠ب٠ ١٤/٦١٧٦

هـذا الكتاب



هذا الكتاب بمجمله يعتبر وثيقة دامغة تكشف حقيقة ما جرى خلال تنفيذ اسرائيل والكتائب لمجازر صبرا وشاتيلا . وهذا الكتاب هو الترجمة العربية لما وضعه الصحافي اليهودي امنيون كابليوك من تحقيقات عن تلك المجازر ساعة بساعة ويوما بيوم . الى جانب وثائق اضفناها الى الكتاب ، وصور ، جاءت كلها لتشكل وثيقة فعلية تشير بوضوح الى منفذي مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢ ضد المدنيين من فلسطينيين ولبنانين في مخيمي صبرا وشاتيلا في ضواحي بيروت الجنوبية .

واذا هناك من اهتمام انساني ولبناني وعربي بتلك المجازر ، فيجب ان يكون جهدا متواصلا لكشف ابطال تلك المجازر لمحاكمتهم ليس كافراد فقط بل كمؤسسات اكانت دولة ام حزبا ام ميليشيا .

واهمية هذا الكتاب الذي تصدره جريدة « الانباء » الناطقة بلسان الحزب التقدمي الاشتراكي ، بالتعاون مع « الدار التقدمية للطباعة والنشر والترجمة » هو انه يصدر في الذكرى الثانية لتلك المجازر . رغم أن من الضروري أن تكون كتب عربية قد وضعت حول تلك المجازر تكشف خفاياها وابطالها وكيفية تنفيذها بشكل دقيق وجريء .

ونترك للقارىء السير مع الوقائع والوثائق والصور ليتعرف الى ابشع مجازر ارتكبت ضد مدنيين في لبنان .

□ الدار التقدمية □

ثمن النسخة ٢٠ ل.ل. أو ما يعادلها